الإسماعيليون في سورية: مؤشرات الاندماج

طلال مصطفى[1]

مقدمة منهجية

يُقدر عدد أفراد الطائفة الإسماعيلية في العالم بنحو 12 مليونًا، ويقيمون في كل من الهند، وآسيا الوسطى، وأفغانستان، والصين، وشرق أفريقيا وبعض الدول العربية. وهؤلاء معظمهم يعتقدون بإمامة كريم الحسيني الآغا خان الرابع الذي يقيم في مدينة بومباي في الهند، ويشرف على إدارة «شبكة الآغا خان للتنمية» التي يمتد نشاطها في مجالات التعليم والصحة والثقافة، وتعمل في أكثر من 30 بلدًا في العالم [2].

في سورية، يتركز وجود الطائفة الإسماعيليّة بصورة أساس في محافظتين: حماة، وتحديدًا في منطقتي "السلمية ومصياف"، إضافة إلى أقلية صغيرة في حماة المدينة؛ ومحافظة طرطوس، نهر الخوابي وبلدة القدموس وريفها، وكذلك في بقية المدن السورية كافة، وخاصة دمشق.

تعد الصراعات السياسية التاريخية بين ممثلي المكونات الطائفية الإسلامية المعوق الرئيس لغياب التفسير التاريخي الموضوعي لأفكار هذه المكونات الطائفية، ومعتقداتها، ومنها الطائفة الإسماعيلية في سورية.

أحاطت بالطائفة الإسماعيلية بيئة معقدة من الصراعات السياسية جعلتها تاريخيًا جماعة غامضة، وأظهرت أفكارها ومبادئها لدى كثير من السنة والشيعة كجماعة هرطقة وباطنية. بل ما زال عدد من الناس حتى الآن يحكم على معتنقي الإسماعيلية بناء على سرديات بسطاء الطوائف الأخرى[3] من دون العناء بسؤال الإسماعيليين أنفسهم عن عقيدتهم الإسلامية.

وقد مرت الإسماعيلية على مدى تاريخها بأحداث وتحولات كبرى أثّرت في مسارها الفكري، وبنيتها الاجتماعية، وعملها الدعوي الديني والتنموي.

اليوم، بعد دخول الإسماعيلية في مرحلة من الوضوح، تبدو جماعة شيعية لا تختلف عن المسلمين السنة

(1) طلال مصطفى: باحث في مركز حرمون للدراسات المعاصرة، أستاذ علم الاجتماع في جامعة دمشق سابقًا

(2) فرهاد دفتري، تاريخ الإسماعيليين الحديث الاستمرارية والتغيير الجماعة مسلمة، سيف الدين القصير (مترجمًا)، (بيروت/ لبنان: معهد الدراسات الإسماعيلية- دار الساقي، 2013). ص86.

(3) على سبيل المثال: السردية التي تقول بأن الإسماعيليين هم «طائفة تعبد «فرج المرأة». وهي منتشرة في صفوف فئات ريفية مهمشة «سنّية» تعتمد على الأحاديث الأهلية المنقولة والمتواترة حول الآخر المختلف بالطائفة أو بالدين، وهو هنا: «الإسماعيليون". "عبادة الفرج» تهمة تتخذ بعدين اثنين؛ فهي من جهة تنكر عليهم «عبادة الله» كمسلمين، وهي من جهة ثانية تحقّر المعتقد الإسماعيلي إلى مستوى «عبادة الفرج»، بحيث يكون الكفر أو الإلحاد أو الشرك بالله «تهمة» لطيفة جدًا قياسًا بالعبادة المذكورة أعلاه. وليس أبلغ من الرد على هذا النوع من الاتهامات مما يتناقله بعض الشباب من أبناء السلَمية، من سخرية للشاعر الراحل علي الجندي، عندما سُئل على هامش أحد الحوارات الصحافية معه ومن باب المزاح: هل صحيح أن الاسماعيليين يعبدون الفرج؟ فكان جواب الجندي: «بصراحة لا أعرف إن كانت الطائفة الكريمة تعبده. لكنني شخصيًا أعبده". انظر: عبد الله أمين الحلاق، شهادات في العمق،

https//:syriauntold.com/18/06/2018/



والشيعة اختلافًا جوهريًا، وقد تأثرت مثل الفرق الإسلامية جميعها بالمؤثرات الصوفية والفلسفية السائدة، فضلًا على أن الصراعات السياسية فرضت عليها سلوكًا سريًا معقدًا في مراحل تاريخها، وإن استطاعت أن تقيم دولًا مهمة في التاريخ الإسلامي مثل الدولة الفاطمية والحمدانية والساسانية، أو أن يكون لها حضور سياسي وعسكري قوي مثل قلاع آلموت وأخواتها المنتشرة في آسيا، والتي كانت مراكز علمية وسياسية ودفاعية، فقد ظل الأئمة الإسماعيليون النزاريون يعيشون في آلموت (1094–1256م)، وكان لهم حضور سياسي قوي في إيران على مدى قرون عدة، ثم انتقل تأثيرهم إلى الهند، ومنذ انتقال الإمام الآغا خان إلى الهند صاروا يؤدون دورًا سياسيًا واجتماعيًا كبيرًا في الهند وفي العالم؛ فقد كان الآغا خان الثالث رئيسًا لعصبة الأمم في الثلاثينيات، وشغل ابنه علي منصب سفير باكستان في الأمم المتحدة، واختير ابنه صدر الدين مفوضًا ساميًا لشؤون اللاجئين في الأمم المتحدة،[4] وينتمي إلى الإسماعيلية الرئيس المؤسس لباكستان؛ محمد علي جناح، وعدد كبير من العلماء المشهورين في التاريخ الإسلامي، مثل: ناصر خسرو، وابن سينا، والفارابي، والرازي، وإخوان الصفا، والسجستاني، وابن العربي، وابن الفارض، والطوسي، وغيرهم.[5]

ربما يكون من المهم جدًا اليوم إعادة دراسة الطائفة الإسماعيلية، وتقييمها من جديد وفق تاريخها ورؤيتها لنفسها كما تفصح عنها الدراسات الإسماعيلية والأخبار والتقارير المستندة إلى مصادر إسماعيلية.

اعتمدت هذه الدراسة المنهج الاستقرائي المتمثل بمراجعة المراجع والدراسات المتوافرة وتحليلها من خلال البحث في القسم الأول في الجانب التاريخي التعريفي في ما يتعلق بالطائفة الإسماعيلية، ولن تبحث الدراسة في المجادلات التاريخية، حيث الروايات المتعددة من أنصار الطائفة الإسماعيلية ومن مخالفيها من مذاهب دينية أخرى، لذلك حاولت الدراسة اعتماد المعلومات التاريخية المجمع عليها من الباحثين معظمهم إلى حد ما.

أما القسم الثاني فيبحث في مؤشرات اندماج الإسماعيليين في المجتمع السوري، وذلك بالبحث في علاقة الطائفة الإسماعيلية بالمكونات الطائفية السورية من خلال عرض الوثائق والسرديات المتنوعة استنادًا إلى المنهج الوصفي التحليلي، كون الدراسة تقع في الحقل السوسيولوجي، وفي الوقت نفسه تنوه الدراسة أنها ليست بمضمار تقديم رؤية لاهوتية تاريخية للطائفة الإسماعيلية.

كذلك البحث في علاقة الإسماعيليين بكل من الحركة السياسية السورية والثورة السورية 2011، وعلى الرغم من معايشة (الكاتب) هذه الأحداث السياسية، إلا أن الكاتب فضل العودة إلى المقالات والدراسات التي وثقت تلك الأحداث للتأكيد على الصدقية العلمية في الدراسة.

أولًا: مدخل تاريخي وتعريفي بالطائفة الإسماعيلية

تعد الطائفة الإسماعيلية الطائفة الشيعية الثانية بعد الاثني عشرية، وتتفق مع الأخيرة حول شخصيات الأئمة حتى جعفر الصادق، فالطائفتان تتفقان على إمامة كل من (علي بن أبي طالب، الحسن، الحسين، علي زين العابدين محمد الباقر، جعفر الصادق).

(4) صدر الدين آغا خان (إيران) 1965، موقع المفوضية السامية للأمم المتحدة: http://www.unhcr-arabic.org/pages/4be7cc273

(5) إبراهيم غرايبة، الإسماعيليون المعاصرون كما يقدمون أنفسهم، https://www.ammonnews.net/article/186821

عند وفاة الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب سنة 147 هجرية[6] انقسمت الشيعة[7] إلى فريقين: فريق أقر بالإمامة لابنه موسى الكاظم، واستمر في تسلسل الإمامة في الأكبر سنًا من عقبه حتى الإمام محمد بن الحسن العسكري[8] الذي دخل سردابًا في مدينة سامراء العراقية، واختفى فيه خوفًا على نفسه من بطش العباسيين وتنكيلهم بالشيعة عامة، وأهل البيت خاصة، وسميت هذه الفرقة بالموسوية نسبة إلى موسى الكاظم أو بالإمامية الاثني عشرية نسبة إلى عدد الأئمة. أما الفريق الثاني: فهم الإسماعيلية الذين قالوا بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، وقد نسبوا إليه[9]، وقد تميزت الإسماعيلية من الاثنا عشرية بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر[10]، ويدور حول إمامته خلاف كبير بين الطائفتين كلتيهما، فالاثنا عشرية تقول: إن إسماعيل توفي في حياة أبيه، وانتقلت الإمامة بذلك إلى أخيه موسى الكاظم، أما الإسماعيلية تقول: إن الإمام جعفر جعل الوصية لولده إسماعيل بالإمامة، وأنكروا على من قال بموت إسماعيل [11]في حياة أبيه، وقالوا: لا يموت حتى يملك، لأن أباه قد وصى بالإمامة له من بعده، بل إنهم ادعوا أن جعفرًا أشار إليه في حياته، وولى الشيعة عليه، فكانوا مجمعين على أنه الإمام بعد أبيه، وأن جعفرًا قلده ذلك في حياته، وأمرهم به[12].

العقيدة الإسماعيلية

تعتمد العقيدة الإسماعيلية على الجانبين العرفاني والصوفي في العقائد الشيعية التي تركز على طبيعة الله والخلق وجهاد النفس، وفيها يجسد إمامُ الزمان الحقيقةَ المطلقة.

يتفق الإسماعيليون مع عموم المسلمين في وحدانية الله، ونبوة محمد، ونزول القرآن المُوحى، وإن كانوا يختلفون معهم في أن القرآن يحمل تأويلًا باطنًا غير تأويله الظاهر، لذلك نعت الإسماعيليةَ كل من السنة

---

(6) يعد المؤسس الحقيقي للمدرسة الشيعية الدينية وواضع أصول العقيدة الشيعية.

(7) أول ظهور لما يسمى الشيعة يعود الى تاريخ وفاة الرسول محمد، حيث حدث أول انشقاق في الإسلام؛ رأى بعضهم بأحقية علي بن أبي طالب بخلافة الرسول، حيث جعلوا الإمامة حقًا شرعيًا للإمام علي بن طالب ولأبنائه من بعده، وذهبوا أن هذا الحق الشرعي هو بأمر من الله، مستندين الى سردية تقول أنه بعد عودة محمد من حجة الوداع نزل بالجحفة (بين مكة والمدينة) عند غدير يعرف بغدير «خم» في اليوم الثامن عشر ذي الحجة، وهناك جاء الوحي بالآية القرآنية « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس»، وتستمر السردية بالقول أن محمد بعد أن أنهى من الصلاة أخذ بيد علي بن أبي طالب، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار» ومن ثم قام المسلمون الموجودون جميعهم، وهنؤوا عليًا بأنه أصبح ولي المسلمين كافة، وما زالت الفرق الشيعية كافة تعد ذلك اليوم عيدًا، وتحتفل به كل عام، ويسمى «عيد الغدير» انظر : https://ar.wikishia.net/view

(8) يعتقد أتباعه من الشيعة الاثني عشرية في إيران وبعض الدول العربية أنه سيخرج من سردابه يوم القيامة على أنه (المهدي المنتظر) الذي سيملأ الدنيا عدلاً، ويرد الحق إلى أهله.

(9) مصطفى غالب، أعلام الإسماعيلية، (بيروت: منشورات دار اليقظة العربية، 1964)، ص18.

(10) مصطفى غالب، أعلام الإسماعيلية، ص18.

(11) يروي مؤرخي الإسماعيلية قصة وفاة إسماعيل في حياة أبيه إنما كانت قصة أراد بها جعفر الصادق التمويه والتعمية على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، حيث كان يطارد أئمة الشيعة، فخاف جعفر على ابنه وخليفته إسماعيل، فادعى موته، وأتى بشهود، وكتبوا محضرًا بوفاته، وختم المحضر بختم عامل المنصور على المدينة، وأرسل المحضر الى الخليفة العباسي، ثم شوهد إسماعيل بعد ذلك بالبصرة، وفي غيرها من بلاد فارس، وعلى ذلك فالإمامة في نظر هؤلاء المؤرخين لم تسقط عن إسماعيل بالموت في حياة أبيه كما يقول الإمامية لأنه مات بعد أبيه (انظر: محمد كامل حسين، طائفة الإسماعيلية: تاريخها. نظمها. عقائدها، ط1، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1959) ص12-13.

(12) سليمان عبد الله السلومي، أصول الإسماعيلية دراسة: تحليل. نقد، المجلد الأول، ط 1، (الرياض: دار الفضيلة، 2001)، ص255.

والشيعة الاثنا عشرية بالباطنية.[13]

بنى الإسماعيليون معتقدهم في الألوهية على ما أسموه (التنزيه والتجريد)، وانتهوا إلى تعطيل الله سبحانه عن كل وصف وتجريده من كل حقيقة، وقالوا: «لا هو موجود، ولا لا موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز..»، ونفوا أسماءه وصفاته بزعم أنه فوق متناول العقل، وصرفوا صفات الله إلى أول مبدع خلقه الله -بزعمهم - وهو العقل الأول، واعتبروا أن المخلوقات كلها وجدت بواسطة العقل والنفس!: «والعقل الأول أو المبدع الأول في اعتقاد الإسماعيلية هو الذي رمز له القرآن بـ(القلم) في الآية الكريمة (ن والقلم وما يسطرون)، وهو الذي أبدع النفس الكلية التي رمز لها القرآن أيضًا بـ(اللوح المحفوظ) ووصفت بجميع الصفات التي للعقل الكلي، إلاّ أن العقل كان أسبق إلى توحيد الله فسمي بـ(السابق) وسميت النفس بـ(التالي)، وبواسطة العقل والنفس وجدت جميع المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية، من جماد وحيوان ونبات وإنسان، وما في السماوات من نجوم وكواكب»[14].

إنهم يفهمون ما ورد عن الجنة والنار في القرآن فهمًا مختلفًا، فيعتقدون أن الجنة هي المعرفة والعلم، والنار هي الجهل[15].

يؤكد الإسماعيليون على الشهادة الإسلامية الأساسية: بأنه لا إله إلا الله وأن محمدًا (عليه الصلاة والسلام) رسول الله. إنهم يعتقدون أن محمدا كان آخر نبي الله، وأن القرآن الكريم رسالة الله الأخيرة للبشر، وقد كشف من خلاله، ويحمل المسلمون هذا الوحي ليكون تتويجًا للرسالة التي تم الكشف عنها من خلال أنبياء آخرين من التقليد الإبراهيمي قبل محمد، بما في ذلك إبراهيم وموسى ويسوع، وجميعهم يقدسون المسلمين على أنهم أنبياء الله[16].

استندت الإسماعيلية في البحث عن مصير الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق إلى العقل، والغنوص (ذوي المعرفة)، والتفسير الباطني، والإيلاج العميق في الفلسفة، وقصة وجود الله علائم ذلك، وموقع الأئمة منه، فأحدثت نوعًا من التمايز يمكن وصفه بالانفتاح والقابلية للمناقشة والمعارضة.

وتعتبر أركان الإسلام في الإسماعيلية سبعة، هي -إضافة إلى الأركان الخمسة لدى أهل السنة (الشهادتان، والصلاة، والصوم، والحج، والزكاة)- الولاية (تسمى لدى الشيعة الإمامة)، والطهارة. ويدور الخلاف بين الإسماعيليين (ومعهم الشيعة) والسنة حول الإمامة؛ فهي بالنسبة إلى الشيعة المرجع النهائي لتفسير الإسلام، والإمام عند الإسماعيليين هو المفسر الذي يؤول المعنى الباطني للقرآن والشريعة. وتعتبر آراء الإمام وتفسيراته المصدر الثالث للفقه بعد القرآن والسنة، ولم يقبلوا بالإجماع والقياس، وهما المصدران الثالث والرابع لدى أهل السنة.[17]

نتيجة مراحل العمل السري والمطاردات الطويلة للإسماعيليين في التاريخ الاسلامي تشكلت طقوس خاصة

---

(13) عبد الوهاب سنان النواري، المذهب الشيعي - الإسماعيلي http://www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php?main_i

(14) مصطفى غالب، الثائر الحميري الحسن بن الصباح، (بيروت: دار الأندلس، 1979) ص69.

(15) محمد يسرى، الإسماعيليون النزاريون بين الاتهام التاريخي والاستهداف الحاضر، https://raseef22.com/article/57093-

(16) The Ismaili Community، https//:www.iis.ac.uk/about-us/ismaili-community

(17) إبراهيم غرايبة، الاسماعيليون تاريخهم وعقائدهم https://arabi21.com/story/734743/



صارت جزءًا من العقيدة حتى بات يصعب فصلها عنها، وعلى سبيل المثال، كان يستحيل على مجموعات سرية جدًا أن تؤذّن وتعلن وجودها في أثناء مواعيد الصلاة، فقد أُلغِي وجود المآذن في مساجد الإسماعيليين، وتكرّس ذلك حتى في المراحل اللاحقة التي توقفت فيها المطاردات بوصفه نوعًا من التمايز، وتحويل اسم الجامع إلى جمعة، إضافة إلى طقوس الصلاة، وما يتبعها من شيء أشبه بالمزار، إذ غالبًا ما يقدّم المصلون أفضل منتوجاتهم الزراعية وما لديهم من منتوجات ليشتريها الآخرون في ما يعرف بـ(فكّها) وفق ثمن يجري المزاد فيه لترسو على أعلى الأثمان، وهذا الأمر يتوسع جدًا ليشمل تركة الميت، وإقامة (مجلس) على روحه، أي صدر كبير مملوء بفاخر الحلويات، أو في حالات الزواج والمناسبات من مثل النجاح والتخرج وسواهما، وتقديم (ملبس) بعد الصلاة مقابل مبلغ زهيد، بينما يضاف إليه ليلة الإثنين والجمعة الراحة، وما يسمى بماء الشفا مقابل مبلغ أكبر من اليومي، وتعود هذه المبالغ جميعها إلى صندوق المجلس الأعلى للطائفة الإسماعيلية، الذي يُعدّ هو نفسه القيادة الدينية والاجتماعية، وهذه العملية التي فرضتها قرون العمل السري والمطاردة قدّمت دخلًا كبيرًا للطائفة، وأتاحت تحقيق الاستقلال وعدم الحاجة إلى أي مساعدات من أي جهة كانت، والقدرة على تنفيذ عدد من المشروعات الخدمية والتعليمة وسواهما، وعمقت التمايز، وخصوصًا أن هناك رتبًا دينية تراتبية يجري احترامها[18].

الفرق الإسماعيلية

1. القرامطة

تعد القرامطة أول فرقة انشقت عن الإسماعيلية، وسميت بالقرامطة نسبة الى زعيمها وداعيها الأول «حمدان قرمط»، وقد كانت دعوة القرامطة في البداية دعوة إسماعيلية، ولكنها كانت تدعو إلى الإمام المنتظر محمد بن إسماعيل باعتباره المهدي أو الإمام الغائب، وهذا الذي ميز القرامطة داخل الاطار الإسماعيلي العام، ومن ثم سبب الخلاف بين القرامطة والإسماعيلية، إذ تؤمن الإسماعيلية أن هناك إمامًا حيًا، وهناك حجة على ذلك، عندما تنازل الإمام الحسين عن الإمامة لحجته[19] سعيد بن الحسن بن عبدالله القداح ليكون سترًا أو مستودعًا لابنه القائم -كما تقول المصادر الإسماعيلية- [20]. وهكذا خرجت على قاعدة الإمامة في عهد "أئمة الستر"[21] الذي كان قائمًا في مدينة «سلمية» السورية في القرن الثاني للهجرة.

2. الدروز: فرقة تفرعت عن الإسماعيلية، وقد توقفت عن السير الإمامي بعهد الإمام الحاكم بأمر الله، وتبنت «حمزة اللباد الأعجمي « هادي المستجيبين، وسيده محمد بن إسماعيل.

3. المستعلية أو البهرة: فرقة تفرعت من الإسماعيلية بعد وفاة الخليفة الفاطمي الإمام المستنصر بالله، فأنكرت إمامة ولده الأكبر نزار، وسارت وراء ولده الأصغر "المستعلي"، وقد ظلت على سيرها حتى عهد الآمر بأحكام الله، وهو ابن المستعلي، وتؤكد المصادر أنه مات من دون عقب، ولكن أتباعه ذكروا أنه مات وترك زوجته

---

(18) عقاب يحيى، مدينة السَلَمِّية السورية (2) 15-201902 https://:mena-studies.org/ar/

(19) عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية (1) الدعوة والعقيدة، ط1 (لندن/ قبرص: رياض الريس للكتب والنشر،1991)، ص92.

(20) سليمان عبد الله السلومي، أصول الإسماعيلية دراسة. تحليل. نقد، المجلد الأول، ط 1، (الرياض/ السعودية: دار الفضيلة،2001)، ص351.

(21) يقصد بالستر: تخفي الإمام وعدم إشهار نفسه إلا لعدد من الأشخاص، وهؤلاء هم الدعاة، وتنتقل الإمامة في دور الستر الى أحد أبناء الإمام بموجب النص، وهكذا دواليك إلى أن يحين وقت الخروج من دور الستر. انظر: عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية (1)، ص93

حاملًا بولد وُلِد فيما بعد واسمه «الطيب»، ولكن الطيب هذا استتر منذ اليوم الأول من ولادته... كما يقول أتباعه الذين يعرفون أيضًا بالفرقة «الطيبية».

4. الداؤدية: فرقة تفرعت من « المستعلية»، وتنتسب الى داؤود بن عجب الذي سمي بـ«داعي مطلق» أو نائب الإمام «الطيب».

5. السليمانية: فرقة تفرعت من المستعلية أيضًا، وتنتسب الى سليمان بن الحسن الذي يطلقون عليه اسم «داعي مطلق» أو نائب الإمام المستور «الطيب». ومن الجدير بالذكر أن هذه الفرقة لا تختلف عن شقيقتها الداؤدية إلا بتسلسل الدعاة المطلقين[22].

6. النزارية: تعود النزارية الى الإمام نزار بن المستنصر الذي كان أكبر من أخيه المستعلي، وهو المنصوص عليه بالإمامة، ونهايته كما تثبتها الروايات التاريخية أن وزير أخيه المستعلي قبض عليه، وقتله، وانتهى بذلك نسله من دون عقب ظاهر أو مستتر، أما المصادر الإسماعيلية النزارية تقول إن نزار تمكن مغادرةَ الإسكندرية سرًا في أثناء الحصار، واتجه الى بلاد فارس حيث استقر به المقام في جبال الطالقان، وأسس الدولة النزارية [23]. وقد تفرع عنها المؤمنية والقاسم شاهيه.

7. المؤمنية: فرقة نزارية إمامية قالت بإمامة مؤمن شاه بن الإمام شمس الدين، وبولده من بعده.

8. القاسم شاهيه: فرقة إسماعيلية نزارية قالت بإمامة شاه بن الإمام شمس الدين من بعده حتى آغا خان الحالي[24].

دول الإسماعيلية

1. دول القرامطة: أقام القرامطة عددًا من الدول في البحرين وفي اليمن وفي العراق وفي الشام، وتنحصر المدة الزمنية لهذه الدول ما بين سنة 278 هجرية حتى سنة 470 هجرية، بوصفها دولًا انفصالية عن الدولة العباسية.[25]

2. الدولة الفاطمية: تعد أكبر دولة إسماعيلية من حيث اتساعها وطول زمنها، حيث شملت أفريقيا معظمها، وبلاد الشام والحجاز في المدد معظمها، فضلًا على أنها استمرت حوالى ثلاثة قرون تعاقب عليها عدد من الحكام والزعماء يصل عددهم إلى أربعة عشر حاكمًا. أسست الدولة الفاطمية عام 297 هجرية في المغرب من قبل عبد الله المهدي الإمام الإسماعيلي الأول.

3. دولة الصالحيين في اليمن: تأسس دولة الصالحيين سنة 439 هجرية، حيث قام الداعي الصليحي بثورة في هذه السنة، استطاع أن يخضع بعض قلاع اليمن وخصومه لسلطانه، واستمر في غزو مدن اليمن ومخالفيه حتى

(22) عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية (1)، ص93.

(23) مصطفى غالب، اعلام الإسماعيلية، ص582.

(24) عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية، الجزء (1)، ص94.

(25) سليمان عبد الله السلومي، أصول الإسماعيلية، ص374.



دانت له كلها في سنة 445 هجرية، وفي ما بعد تم الاستيلاء على العراق وضمها إلى مملكته، وقد توفي سنة 459 هجرية[26].

4. دولة الفدائيين: قامت هذه الدولة الإسماعيلية في جنوب فارس بعد انقسام الإسماعيلية إلى مستعلية ونزارية، حيث انتصر مؤسس هذه الدولة «الحسن الصباح»، وأصبح يدعو له ولأبنائه من بعده، وجعل من نفسه نائبًا للإمام المستور من ولد نزار، يطلق عليهم الإسماعيلية النزارية.[27]

شبكة الآغا خان للتنمية AKDN

هي مجموعة من المؤسسات تشتمل على هيئات ربحية وأخرى غير ربحية، قد نمت وكبرت على مدى قرن من الزمن، وهي كبرى وكالات التنمية الخاصة في العالم، حيث تعمل في أكثر من 30 بلدًا، وقد تأسست هذه الشبكة على خلفية المؤسسات التي أوجدها الآغا خان الثالث (1885-1957) لتلبية حاجات الجماعات الإسماعلية في الهند وشرق إفريقيا.

وقد توسعت كثيرًا في ظل قيادة الآغا خان الرابع كريم الحسيني، لتصير اليوم أكثر من 140 هيئة منفصلة تنتمي للشبكة، تُشغِّل أكثر من 58 ألف عامل رسمي، غير آلاف العمال المنخرطين في شركات وطنية ودولية تعمل شبكة الآغا خان للتنمية من خلالها، وحوالى 20 ألف متطوع يعمل بدوام كامل[28].

عني الآغا خان الثالث بمسألة محو الأمية في أوساطهم، وقد قام بتوجيه الإسماعيليين في إيران إلى استخدام 80 في المئة من أموال العشر في بناء المدارس[29]. وعندما تولى الآغا خان الرابع كريم الحسيني الإمامة، وهو في العشرين من عمره، أخذ على عاتقه إنشاء ورعاية عدد من المؤسسات الصحية والتعليمية التي أنشئت في جنوب شرق أسيا وأفريقيا، حيث يمتلك الآغا خان هناك ما يزيد على 300 مدرسة.

1. برنامج «المدرسة» للطفولة المبكرة

انطلقت هذه المبادرة في صورة مشروع تجريبي في منتصف الثمانينيات في المنطقة الساحلية المباسا في كينيا، حيث طلب قادة الجماعة المسلمة هناك (على المذهب الإسماعيلي) من الآغا خان مساعدتهم في وضع أطفالهم على السكة الموصلة إلى الجامعة للحصول في ما بعد على وظائف مرموقة، ويقوم برنامج هذه المدارس على تعليم القراءة والكتابة للأطفال والمهارات الحسابية إضافة إلى الرسم لأطفال بين سن الثالثة والسادسة من العمر.

2. تمويل المشروعات الصغيرة

وهو برنامج يستهدف النساء على وجه الخصوص والرفع من مستواهن المعيشي من خلال الادخار بمبالغ بسيطة مقابل منحهن قروضًا في ما بعد إلى أجل، يستطعن من خلالها البدء بمشروعات صغيرة.

(26) محمد كامل حسين، طائفة الإسماعيلية، ص48-49.

(27) سليمان عبد الله السلومي، أصول الإسماعيلية، ص390.

(28) فرهاد دفتري، تاريخ الإسماعيليين الحديث الاستمرارية والتغيير الجماعة مسلمة، سيف الدين القصير (مترجمًا)، (بيروت/ لبنان: معهد الدراسات الإسماعيلية، دار الساقي، 2013) ص28 و29.

(29) فرهاد دفتري، تاريخ الاسماعيليين الحديث الاستمرارية والتغيير الجماعة مسلمة، ص29.



وقد تأسست هذه الوكالة للتمويلات الصغيرة منذ العام 2005، وجعلت من أهدافها خفض الفقر، ومعالجة حالة الهشاشة لدى الفقراء، وتقول الوكالة إنها ساعدت مناطق ريفية وحضرية على حد سواء حول العالم بغض النظر عن خلفياتهم وثقافاتهم، لأن الوكالة بحسب القائمين عليها هي إحدى الوكالات غير الربحية ولا الطائفية. وقد استُحدثت بموجب القانون السويسري ومقرها الرئيس في جنيف[30].

3. وكالة الآغا خان لإنشاء «المساكن"

تقوم وكالة الآغا خان لإنشاء «المساكن» بدور تدخلي يقوم على التجهيز لكل من الكوارث المزمنة والمفاجئة والبطيئة، وذلك لمواجهة التهديد المتزايد الناتج عن التغير المناخي. تعمل الوكالة لضمان أوضاع معيشة طبيعية وآمنة للفقراء من آثار الكوارث الطبيعية، بحيث يكون المقيمون في المناطق عالية الخطر قادرين على التعامل مع هذه الكوارث من خلال الاستعداد والاستجابة. وتوفر هذه الإعدادات الحصول على الخدمات الاجتماعية والمادية التي تؤدي إلى الحصول على فرصة أفضل ومستوى معيشي أحسن.

4. القطاع المالي والسياحي

سعت الآغا خانية منذ وقت مبكر لتنويع قاعدتها المالية، فأسس الآغا خان الثالث شركة ليوبيل للتأمين عام 1936 في شمال إفريقيا. وبعد تولي الآغا خان الرابع الإمامة الإسماعلية عام 1957 تحوّل إلى منح القروض من خلال ما صار يُعرف بعد ذلك بـ «مصرف الأمانة الماسي» أو ما يُعرف بالاختصار DTB، ويعمل في كل من كينيا وأوغندا وتانزانيا، وهي مناطق ذات وجود إسماعيلي في إفريقيا.

وشهد أيضًا القطاع المالي في الهند وباكستان (الكتلة الكبيرة من الإسماعيليين تقطن هناك)، توسعات هذه المصارف مع حلول القرن الواحد والعشرين لنصبح أمام عمليات مصرفية كاملة. وفي سنة 2003، تجاوز عدد ما تديره شبكة الآغا خان للتنمية من مصارف التمويل الصغير وبرامج الإقراض عبر أفريقيا والشرق الأوسط وجنوب أسيا ووسطها؛ أربعين مصرفًا[31].

أما على الصعيد السياحي، فتمتلك شبكة الآغا خان أحد أكبر الفنادق العالمية، وهو فندق «سيرينا» في بلدة ستون تاون في زنجبار التي تحتل أعلى سلم الأماكن السياحية التي يفضلها الأميركيون والأستراليون. وهذا الفندق ذو النجوم الخمس هو جزء من المشروع التنموي الذي تتولى إدارته أمانة الآغا خان للثقافة، إضافة إلى عدد من الفنادق الأخرى من الدرجة الأولى في كل من نيروبي ومابوتو وكمبالا وكيغالي وإسلام أباد وكابل.

وتنشط شبكة الآغا خان في خدمات الترويج السياحي ويقوم صندوق الآغا خان للتنمية بتوفير العملات الأجنبية للاقتصاديات المضيفة ويساهم في مواردها من خلال الضرائب.[32]

---

(30) انظر: محمد بون العثماني، «الآغاخانية (2-4): القوة الناعمة للإسماعيليين في العالم»، 2016/11/10. https://www.ida2at.com/alaghakhanet-2-4-/soft-llasmaaleyen-in-the-world

(31) ماليس روثفن، تاريخ الإسماعيليين الحديث الاستمرارية والتغيير لجماعة مسلمة، سيف الدين القصير (مترجمًا)، (شبكة الآغا خان للتنمية ومؤسساتها)، ص269

(32) محمد بون العثماني، //https://www.ida2at.com/aga-khanate-the-cognitive-system-and-mental-image-of-the-ismailis



ثانيًا: الإسماعيليون في سورية

يقدر عدد الإسماعيليين في سورية بحوالى 300 ألف نسمة، وهم اليوم يمثلون واحدًا في المئة من السكان في سورية؛ نصفهم مؤمنيه، ونصفهم الآخر آغا خاني، لكن الإسماعيليين المؤمنين[33] لا يرتبطون بمؤسسات دينية كما هو الحال لدى أشقائهم الآغا خانين.

يتركز وجود الإسماعيليين في سورية بشكل رئيس في محافظة حماة، وتحديدًا في مدينتي السلمية ومصياف، وكذلك في محافظة طرطوس، وبالتحديد في مدينة القدموس، وقرى نهر الخوابي، كذلك في بقية المدن السورية، وخاصة في مدينة دمشق بحكم الهجرة لإيجاد فرص عمل وتعليم وغيرهما؛ ويعترفون بالآغا خان الرابع إمامًا لهم.

توجه الإسماعيليون إلى المؤسسات التعليمية كافة، بما فيها التعليم العالي، انسجامًا مع توجهات الآغا خان الثالث، وفي ظل الآغا خان الرابع أُعيد تنظيم الجماعة الإسماعيلية بحسب الدستور الإسماعيلي (1986)؛ حيث أصبح هناك مجلس وطني وهيئة للطريقة والثقافة الدينية الإسماعيلية[34].

المجلس الشيعي الإسماعيلي الأعلى في السلمية

يعد من أهم مؤسسات الطائفة الإسماعيلية الثقافية والدينية والاجتماعية في مدينة السلمية، وله مكاتب فرعية في بعض المدن السورية الرئيسة، وخاصة دمشق وحلب، يسهم المجلس الإسماعيلي الأعلى في سورية، وفي مدينة السلمية وريفها تحديدًا، بكثير من مجالات الحياة، حيث كان له أثر واضح في المدينة في الصعد الحياتية كافة[35]:

1. على الصعيد الاجتماعي يوجد لجنة مصالحة اجتماعية تتدخل في حل النزاعات بين أفراد مدينة السلمية وريفها (طلاق، ورثة، خلافات فردية....) بالتنسيق في بعض الحالات مع المؤسسات الرسمية للدولة، خاصة في الحالات الثأرية العنفية.

كذلك تخصيص مساعدات مالية للفئات الهشة في المجتمع الإسماعيلي، مثل النساء الأرامل والمطلقات الذين ليس لهم معيل. ويقدم بالتعاون مع الجمعيات والفرق المحلية خدمات مجتمعية محلية أيضًا.

2. على الصعيد التعليمي يقدم المجلس الإسماعيلي دورات تعليمية متفرقة للمراحل الدراسية كافة، وخاصة الثانوية.

يدعم المجلس الإسماعيلي الشباب، ويشجعهم على متابعتهم الدراسة، وحصولهم على منح دراسية خارجية،

(33) يطلق عليهم الطائفة الجعفرية السبعية أو ما تسمى الجعفرية الإسماعيلية التي تعيش في جبال الساحل السورية في مدن مثل مصياف والقدموس، ومن تهجر إلى السلمية وريفها، (المعروفون بالقدامسة نسبة إلى بلدتهم الأصلية القدموس) لا يفترقون عن السنة في شيء، فهم يتسابقون في إقامة فرائض الدين الإسلامي وشعائره، ويحفظون القرآن ويعملون بهديه، ويقتدون بالرسول محمد، ويحفظون أحاديثه إلا أن الأذان مطابق للأذان الجعفري بإضافة (حي على خير العمل).

(34) فرهاد دفتري، تاريخ الإسماعيليين الحديث الاستمرارية والتغيير الجماعة مسلمة، ص252

(35) مقابلة هاتفية بين الكاتب وأحد العاملين في مؤسسات الآغا خان بتاريخ 1/7/ 2020.



حيث قدم دورات لتعليم اللغة الإنكليزية، إضافة إلى برامج تأهيل الشباب للحصول على شهادة الأيلتس. بما يعرف بـ sypp، وهو اختصار لـ Syrian preparation program حيث في كل سنة كان يُرشح لهذه الدورة عشرون طالب وطالبة بعد أن يتم اختيارهم من مجموعة من المتقدمين، ويُدرس الطلاب موادًا باللغة الإنكليزية في المركز الثقافي البريطاني في دمشق، حيث كانت آخر دورة سنة 2011، وتوقفت نتيجة الحرب وإغلاق السفارة البريطانية. وعند الانتهاء من هذه الدورة التي مدتها 9 أشهر يجري الطلاب أبحاثًا من اختيارهم لنيل الشهادة، ويمكنهم بعدها التقدم على المنح ومتابعة الدراسة في الجامعات البريطانية.

كذلك يخصص رواتب لطلاب الجامعات من الأسر الفقيرة جدًا، إضافة إلى أنه يوزع منحة طلابية لأغلب طلاب الجامعات السورية للطلاب الإسماعيليين، وكذلك يقدم خدمات جامعية، ويمنح الطلاب قروضًا صغيرة تساعدهم خلال دراستهم الجامعية.

3. على الصعيد الترفيهي هناك مجموعة نشاطات في العطل الصيفية، ورحلات لذوي الاحتياجات الخاصة، وتقديم الرعاية لهم.

4. على الصعيد الاقتصادي تقدم اللجنة الاقتصادية في المجلس الإسماعيلي الدعم للأسر الفقيرة بشكل عام، والأسر التي تعيلها امرأة، ولذوي الاحتياجات الخاصة بصورة خاصة، حيث تقدم دورات تدريب مهني للسيدات (كوافيرة، خياطة، تجهيز وتحضير مونة....)، ويتم الإعلان عن معارض دورية لترويج منتجات السيدات.

مؤسسة الآغا خان في السلمية

تعد مؤسسة الآغا خان في سورية جزءًا من وكالات الآغا خان العالمية أو الشبكة ((AKDN، وتهتم بالجانب التنموي الريفي بالأساس، ولكن خلال الحرب السورية اتجهت للتدخل بالمجالات جميعها:

1. المساعدات الإنسانية: منذ بداية الحرب السورية 2011 تأسس برنامج المساعدات الإنسانية، وجهز قاعدة بيانات واسعة للنازحين والناس الفقراء كلهم في منطقة سلمية، حيث كان هذا البرنامج مسؤولًا عن توزيع السلّات الغذائية، إضافة إلى المعونة المالية التي كانت توزع في بداية الشتاء (تأمين سعر مادة المازوت للمستفيدين)، منذ حوالى عامين قدم برنامج المساعدات الإنسانية دعمًا خاصًا للحوامل والمرضعات، حيث وزعت معونة شهرية عليهم تؤمن التغذية الضرورية لهم.

2. البرنامج الصحي: استجاب البرنامج الصحي لمؤسسة الآغا خان للحرب في سورية، حيث قام بعدد من الورشات وجلسات التوعية للأهل من جوانب عدة (الزواج المبكر، أهمية الإرضاع الطبيعي، العناية بكبار السن، أهمية غسل اليدين....).

3. التعليم والطفولة: اهتمت مؤسسة الآغا خان بالأطفال اهتمامًا كبيرًا، حيث قدمت عددًا من البرامج (أنا وطفلي في الأزمات، غرف قراءة، طفولة مبكرة، روضات متطورة للأطفال).

4. مركز التدريب المهني والتعليم المستمر: قدم المركز تدريبًا مهنيًا للشباب العاطل عن العمل، إضافة إلى تقديم منح مالية لتأسيس مشروعات صغيرة تؤمن لهم الدخل (تصليح دراجات، صيانة حاسوب، صيانة هاتف،



تنجيد أثاث، نجارة، حدادة، حلاقة، خياطة، إدارة مكاتب، محاسبة).

5. برنامج تحسين مستوى المعيشة Livelihood في الحياة الريفية والزراعة والدواجن.

ثالثًا: مؤشرات اندماج الإسماعيليين

اعتمدت الدراسة مؤشرات اندماج الإسماعيليين في المجتمع السوري على ما أقرته الأدبيات الكلاسيكية للعلوم الاجتماعية؛ أن الاندماج هو بالأساس مجموعة من التفاعلات بين عناصر مختلفة داخل مجموعة ما يؤدي إلى إحساسها بضرورة التماثل والانسجام في ما بينها بآليات وطرائق مختلفة ومتنوعة، ما يشير إلى وضعية جماعة اجتماعية في تفاعل مع جماعات أخرى تتقاسم معها القيم والمعايير داخل المجتمع الذي تنتمي إليه.[36]

أما مؤشرات اندماج الإسماعيليين في المجتمع السوري التي اعتمدت بناء على هذا المفهوم، من خلال طبيعة العلاقات بين الطائفة الإسماعيلية والمكونات الطائفية السورية الأخرى، وخاصة المكون الرئيس «السنة»، كذلك طبيعة تفاعل الإسماعيليين مع الحركة السياسية السورية، والموقف من الثورة السورية 2011.

1. الإسماعيليون والسنة

تعد الطائفية السنية أكبر طائفة دينيّة في سورية، حيث تشكل ما نسبته 75 إلى 80 في المئة من عدد السكان، وهي منتشرة في مختلف المناطق السورية، وتشكل أغلبيّة في 11 محافظة من أصل 14 محافظة سوريّة، وتعد أهم التجمّعات في العاصمة دمشق وحلب وحمص وحماة مدنًا سنيّة، وبصورة عامة فنسبة السنّة في المحافظات تشبه نسبتهم من تعداد سكّان سورية[37].

أما عن طبيعة العلاقة بين الإسماعيلية والسنة، فلا بد من العودة إلى التاريخ الاسلامي، حيث يتبين أن الطائفة الإسماعيلية عاشت طيلة القرون التي تلت انهيار دولهم المتعاقبة تحت حكم الدول الإسلامية (السنية) التي تعاقبت على حكم بلاد الشام، وتعرضت لما تعرضت له الطوائف كافة من تحولات وتبدلات على المستوى السياسي.

في حقبة الحكم العثماني كان إصدار السلطان العثماني عبد المجيد قرارًا «فرمانًا" بالسماح للعائلات الإسماعيلية الموجودة في الساحل السوري بالانتقال إلى السلمية، وإعادة إعمارها عام 1848 له أثر كبير في الطائفة الإسماعيلية[38]، حيث هاجر عدد كبير من الإسماعيليين إلى (خرايب) مدينة السلمية، معقل الإسماعيليين

(36) انظر: مجموعة من المؤلفين، الادماج والاندماج: الرهانات والاستراتيجيات والمرجعيات، أعمال الندوة العلمية الدولية، (تونس: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي و التكنولوجيا بجامعة تونس، المعهد العالي للتنشيط الشبابي و الثقافي ببئر الباي)، ص4-5، https://sociomaroc.blogspot.com/2016/11/-blog post.html

(37) إبراهيم قيسون، محمد المصطفى، «تركيبة المجتمع السوري وحياته السياسية»، http://www.torancenter.org/2017/08/30/

(38) أصدر السلطان العثماني "فرمانا" قضى بإعمار مدينة السلمية، وهذا نص الفرمان: "من حضرة السدة السلطانية العليا الى والي الديار الشامية: يأتي امرنا جواب المعروض المقدم من اسماعيل الأمير محمد بن سليمان الساكن في جبال الإسماعيلية في ولاية طرابلس الشام ,بالسماح له بإسكان من يراه من عشيرته وأبناء قبيلته أراضي الجف تليك الواقعة شرقي نهر العاصي وحتى بادية الشام وجبال الشومرية وجبال العلا, يقسمها بينهم بمعرفته طبقا لرغبتنا في اعمار شرقي نهر العاصي من الديار الشامية , وله الحق في تجنيد أربعين عسكريا واقتناء السلاح للدفاع عن كل الاراضي التي بحوزته والسماح له من الضرائب الخاصة بالدولة

تاريخيًا، ليقوموا بإعمارها بعد أن بقيت مدة طويلة تحت سيطرة قبائل بدوية كانت تتصارع في ما بينها للسيطرة عليها، وقد كانت الدوافع العميقة لهذه الهجرة هي الارتباط الديني الإسماعيلي بالمدينة التي شكلت منبعًا من منابع الدعوة الإسماعيلية، وكذلك محاولة الهرب من الصراعات العنفية المسلحة الطائفية مع العلويين، التي تقاسمت معهم مناطق السيطرة والنفوذ في جبال الساحل السوري. وقد استثمر الوافدون على السلمية وباديتها الأرض استثمارًا جيدًا، ما أدى إلى توافد دفعات متتالية من الإسماعيليين على المنطقة، حيث أنشؤوا القرى، ولكنهم واجهوا هجمات البدو الذين شعروا بخسارة الأراضي الزراعية بوصفها مراعي لحيواناتهم، وقد تمكن الإسماعيليون "السلامنة" احتواءَ هذه الهجمات عبر وسائل متنوعة، تراوحت بين استخدام السلاح للدفاع عن النفس، وعقد المصالحات والتوافقات، إلى أن انتهت الصراعات بعد توطين البدو في قرى محددة في الريف الشرقي والشمالي للسلمية، والحاجة التجارية المتبادلة بينهم.[39]، ما أدى في المحصلة إلى ازدهار المدينة من خلال توزيع الأراضي على السكان جميعهم، ما جعلهم يعملون بصورة أفضل في الأرض التي يملكونها، وقد أدى ذلك إلى اتساع دائرة المتعلمين في المدينة. ومع مرور الوقت اتسعت حركة التوافد على المدينة، لتشمل طوائف دينية أخرى بمثل السنة والعلويين، وأيضًا عرقيات غير عربية بمثل الشركس والأكراد والأرمن.

من العائلات الإسماعيلية التي هاجرت من الساحل (نهر الخوابي) عائلة محمد علي الجندي[40] عام 1848 الذي تزعم حركة دينية تدعو إلى الإسلام الأصلي (المذهب السني)، حيث استطاع (تسنين) ثلث مدينة السلمية تقريبًا، وشيد الجامع الكبير في وسط مدينة السلمية، في حين استمرت العائلات الأخرى، وخاصة العائلة الكبرى في السلمية الأمراء «الأمار» في اعتبار الآغا خان إمامهم الديني[41].

أما بالنسبة إلى العلاقة بين الإسماعيليين والسنة (المسننين) في سورية، وخاصة في (السلمية وريفها، مصياف، القدموس، نهر الخوابي) تجمعهما علاقات القربى بالدرجة الأولى، وإمكان التحول المتبادل بين المذهبين (الإسماعيلي والسني) متوافر وطبيعي في مدينة السلمية، وحتى ضمن العائلة الواحدة[42].

وفي الجانب الاجتماعي، لا يوجد مانع مذهبي أو رسمي من الزواج بالطوائف والمذاهب الأخرى، سواء كان

بأنواعها، ولا يؤخذ من جماعته الى الخدمة العسكرية إلا من يريد الخدمة بالكيف والقبول، وعلى والي الديار الشامية البلاغ متصرف حماة تطبيق نص الفرمان السلطاني وتقديم المعونة لإسماعيل الأمير محمد». انظر: محمود أمين سلمية في خمسين قرنا، (دمشق: مطبعة كرم، 1983)، ص152. https://archive.org/details/ibooklet_20150331/page/n391/mode/2up

(39) يلحظ من خلال السوق التجاري في وسط السلمية لشراء وبيع منتوجات الأغنام من الحليب ومشتقاته، وكذلك سوق في المدخل الشرقي الشمالي لمدينة السلمية لبيع وشراء الحيوانات، حيث يلحظ كثافة وجود البدو في هذه الأسواق. (الكاتب).

(40) محمد علي الجندي هو والد سامي الجندي السياسي والأديب، وأخوته الذين انتموا للبعث، ومارسوا أدوارًا فيه، من مثل خالد وإنعام وعاصم، والشاعر علي الجندي. ولا بد من التنويه الى أن عائلة الجندي، المقيمة في سلمية، منذ إعمارها، آخر مرة عام 1848، هي عائلة مُسننة في عمومها، ومنها العقيد عبد الكريم الجندي، عضو اللجنة العسكرية المصغرة في حزب البعث عام 1960، والمسؤول عن فرع مخابرات أمن الدولة، والذي انتحر عام 1969 بعد أن عرف أن قرار اعتقاله من قبل حافظ الأسد قد صدر. وعلى هذه القاعدة خاض أحد أبرز وجهائها (صراعًا مريرًا ضدّ الأمراء (الأمار)، وترشّح باستمرار في مواجهتهم للانتخابات النيابية، ومثله فعل ابنه سامي، وإن على خلفية أخرى؛ بعثية.

(41) حنا بطاطو، فلاحو سورية، عبد الله فاضل، رائد النقشبندي (مترجمان)، (د.م، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، د.ت)، 295.

(42) التشابك الاجتماعي في السلمية جعل الفرز على أساس طائفي صعبًا، ففي العائلة الواحد تجد الإسماعيلي والسني والملحد أو اللاديني، ويرجع ذلك إلى التجربة التي مرت بها المدينة بعد منتصف القرن العشرين، حيث انتشرت أحزاب مختلفة في المدينة (الحزب الشيوعي السوري، القومي السوري الاجتماعي، حزب البعث، الحزب الناصري، حزب العمل الشيوعي... إلخ) كانت كفيلة بتشكيل هويتها الثقافية. أحيانًا تجد الإخوة في العائلة الواحدة منهم من يمارس الطقوس الدينية الإسماعيلية، والأخرون قد يمارسون الطقوس السنية، وللتأكد من هذه المعلومة سأل (الكاتب) أحد الإسماعيليين المتدينين، فكان جوابه التأكيد على ذلك، حيث قال إن زوجته سنية، وقد وافق على زواج أخته من رجل سني.



للذكور أو للإناث، وبالنسبة إلى مراسم إعلان الخطوبة والزواج لدى الإسماعيليين، فإنها ليست مختلفة عن بقية المذاهب الإسلامية في سورية[43].

أما بالنسبة إلى طبيعة العلاقة مع السنة خارج مراكز وجود الإسماعيليين، وخاصة مع السنة في مدينة حماة لقربها الجغرافي من كل من السلمية ومصياف؛ فقد اتسمت بالطبيعية، وبالعلاقة التجارية الطبيعية على الرغم من التباين الديني بينهما، حيث المجتمع الحموي المحافظ اجتماعيًا ودينيًا، ومركز حزب الإخوان المسلمين تاريخيًا، بخلاف مدينة السلمية والإسماعيليين، ولوحظ الموقف الاجتماعي الإيجابي من قبل الإسماعيليين تجاه السنة في حماة إثر انتفاضة الإخوان المسلمين عام 1982[44]، حيث استقبلت العائلات المهجرة في مدينة السلمية وريفها على الرغم من التحريض الإعلامي من قبل النظام على الإخوان المسلمين بوصفهم عصابات إرهابية، بل ربما المذهب الإسماعيلي أزاح الخوف من إمكان اتهام مؤسسات النظام الأمنية بالإخوان المسلمين للإسماعيليين، ما شجعهم على استقبالهم، وتقديم المساعدات المطلوبة للإقامة، و وكذلك الأمر في مرحلة الثورة السورية 2011، حيث استقبلت مئات العائلات السنية من حماة وحمص وريفها الشمالي، وقدمت المساعدات المتنوعة لهم.[45]

بصورة عامة لوحظت علاقات مهنية بين الإسماعيليين (السلمية)، وخاصة التجارية، مع كل من حماة وحلب وحمص[46]، ولا وجود لحوادث عنفية صراعية تذكر سوى حالات فردية تحدث بشكل طبيعي في أي تجمع سكاني.

كذلك حالات زواج متعددة، عادة ما تحصل نتيجة تعارف الزوجين في الجامعات والمؤسسات الوظيفية، بمعنى الزواج على نمط (الاختيار الشخصي الحر) للزوجين، بغض النظر عن الاختلاف الانتمائي الديني المذهبي.

2. الإسماعيليون والعلويون في سورية

تعد الطائفة العلوية فرقة شيعية، انشقت عن الطائفة الإمامية الاثني عشرية، ولكن ينظر إلى معتنقيها في النصوص الفقهية للاثني عشرية باعتبارهم كفارًا، ويمثلون نسبة (11.5 في المئة) من السكان بحسب الإحصاءات

---

(43) يفضل الإسماعيليون المتدينون أن يأتي الشيخ، ويقرأ القرآن، ويضع يده على يدي العريس وولي أمر العروس بعد أن تسميه العروس، وتوكله أمام شاهدين، ويكون والدها إذا كان حيًا أو جدها أو عمها أو أخوها، ثمّ يردد ويرددون خلفه عبارة الإيجاب والقبول: زوجتك ابنتي فلانه على سنة الله ورسوله وعلى مذهب الأئمة الإسماعيليين المتوالين إلى يوم الدين، وعلى مهر معجله كذا ومؤخره كذا، فيردد العريس القول قبلت الزواج من ابنتك فلانة على سنة الله ورسوله وعلى مذهب الأئمة الإسماعيليين المتوالين إلى يوم الدين، وعلى مهر معجله كذا ومؤجله كذا، ويكتب الكتاب في المحكمة الرسمية.

(44) في عقب المجزرة الدامية في مدينة حماة سنة 1982، نزحت عشرات العائلات الحموية إلى مدينة سلميّة هربًا، وفي إثر انتهاء القتال عادت بعض العائلات إلى منازلها، في ما بقيت بعض الأسر في المدينة، ونقلت معها المهن التي كانت تعمل بها. تجمعت هذه الأسر في حي واحد بني فيه جامع، وأصبح يطلق عليه حي الحمويّة.

(45) ومع اجتياح قوات النظام السوري مدينة حماة في شهر من آب 2011، نزحت عشرات العائلات الحموية إلى مدينة سلمية بمساعدة ناشطين من المدينة، عقبها نزوح عائلات أخرى من حمص وحلب (2014-2013) مع اشتداد وتيرة المعارك فيها، ووصلت أعداد النازحين الجدد إلى المدينة حوالى 150 ألفًا بحسب إحصائية تقريبية، يعيشون مع الطائفة الإسماعيلية في أحياء المدينة وفي بعض القرى القريبة. انظر: سامر القطريب، سلمية تعايش في زمن الحرب، 13 تشرين 2 / 2017، https://www.suwar-magazine.org/articles/15428

(46) تقع مدينة السلمية وسط سورية في مثلث متساوي الساقين تقريبًا بين حماة التي تبعد نحو 33كم، وحمص 45 كم، وهي في الطرف الغربي للبادية السورية، وكانت عبر التاريخ نقطة التواصل بين البادية والحضر، وحوض الفرات والمناطق الأخرى التي تستخدمها تحاشيًا للمرور بالبادية والمخاطر المحتملة للقوافل من هجومات البدو، ومركزًا تجاريا مهمًا باتجاهات مختلفة، وخاصة إلى حلب مرورًا بقصر ابن وردان، ومعبرًا مهمًا إلى بلاد الشام ولبنان.

الرسمية حتى عام [47]1985، وهي الطائفة الدينية نفسها التي ينتمي إليها الرئيس الأسد (الأب والابن).

اتسمت العلاقة بين الطائفتين الإسماعيلية والعلوية بالاختلاف والاقتتال أحيانًا في مراحل تاريخية محددة من (الحكم العثماني والانتداب الفرنسي)، وبالبحث في جذور هذا الاختلاف والاقتتال في المراجع التاريخية وحتى في السرديات الشعبية، لم نجد للعامل الديني(المذهبي) دورًا يذكر، بل وجدنا رواية تتحدث عن محاولة لدمج الطائفتين في طائفة واحدة، ولكنها منيت بالفشل بسبب رفض العلويين[48].

تعود الاصطدامات بين الطائفتين إلى مرحلة الدولة العثمانية، حيث العلاقة الودية بين الإسماعيليين والدولة العثمانية بخلاف العلاقة مع العلويين التي ربما كانت وراء هذه الحوادث[49].

بدأت الاصطدامات العنفية بهدف السيطرة على القلاع الساحلية في سورية عام [50]1703، وكذلك الحوادث العنفية الدامية بين الطائفتين (العلوية والإسماعيلية) في بلدة «وادي العيون» عام 1870 [51] التي انتهت بترحيل الإسماعيليين منها من قبل السلطات العثمانية.

مع انهيار الدولة العثمانية ودخول فرنسا دولةَ انتداب إلى سورية، عادت الاصطدامات العنفية بين الطائفتين في عام 1919.

وقد كتب المؤرخ محمد كرد علي (كمؤرخ محايد وموضوعي) في كتابه «خطط الشام» حول هذه الأحداث بين الطائفتين.[52]

من نتائج هذه الأحداث العنفية كان هجرة عدد من الإسماعيليين الساحل السوري إلى مدينة السلمية

---

(47) انظر: المركز اللبناني للدراسات الاستراتيجية، 124 https://horrya.net/archives/61025

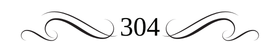
(48) يقول جعفر السبحاني: "كانت هناك محاولات للتقريب بين عقائد الاسماعيلية والعلويين باءت بالفشل بمساعي مشايخ العلويين العلماء على رأسهم حاتم الطوباني سنة 745 هجرية"، راجع: جعفر السبحاني، بحوث في الملل والنحل (إسماعيلية)، المجلد8، (قم/ إيران: مؤسسة الإمام الصادق، د.ت)، ص416. ويراجع كتاب: محمد أمين غالب الطويل، تاريخ العلويين، ص378. 36.

(49) محمد خوندة، تاريخ العلويين وأنسابهم، ط1، (بيروت: دار المحجة البيضاء، 2004(، ص400.

(50) في مرحلة الحكم العثماني، حاول العلويون مرات عدة الاستيلاء على القلاع الإسماعيلية، ولكن تدخل قوات الدولة العثمانية كان كفيلًا بإعادتهم إلى مناطقهم، ومن بين الحوادث الطائفية تذكر المصادر التاريخية مجزرة "بيت رسلان" في العام 1703، حيث استولت عشيرة بني رسلان على قلعة مصياف، وقتلت الذكور الكبار جميعهم، واستمرت فيها لمدّة ثماني سنين. راجع: جعفر السبحاني، بحوث في الملل والنحل"، المجلد الثامن، ص415. https://books.rafed.net/m/?

(51) قرية « وادي العيون» التي كان سكانها شراكة بين العلويين والإسماعيليين، ولكن حوادث دامية وقعت بين الطائفتين، وهي حوادث كانت معتادة، ولكن السلطات العثمانية تدخلت هذه المرة، وأخرجت الإسماعيليين من القرية، وألحقتهم بأقربائهم في منطقة الخوابي الخاصة بالإسماعيليين. انظر: أحمد الجندي، لهو الأيام، مذكرات، ط1، (بيروت: رياض الريس للنشر، 1991)، ص42.

(52) يذكر واقعتين محددتين في هذا العام، فيتحدث عن الأولى قائلًا: "ومن الأحداث خلال هذه السنة ما وقع من اختلاف (شباط 1919) بين مشايخ الإسماعيلية وجماعتهم من الفلاحين انقلب الى فتنة، اضطر معها الأمراء أن يستنجدوا بمشايخ النصيرية ليعينوهم على أبناء مذهبهم فعاونوهم حتى انتصروا على جماعتهم، وأراد الفلاحون من الإسماعيلية بعد كسرتهم أن ينتقموا لأنفسهم فهاجموا قرى النصيرية القريبة من أرضهم، وارتكبوا أنواع القسوة وحرقوا الدور، ونبشوا قبور الأولياء من شيعتهم، فاضطرت السلطة كما قال الكولونيل نيجر الى التدخل، واشتعلت نيران الفتنة، ولم تخمد إلا في تموز 1921. قال: وكادت هذه الفتنة تعم الجبل كله، لو لم يعلن استقلال جبال النصيرية، ويروي محمد كرد علي وقائع الحادثة الثانية التي جرت ضمن سياق الأحداث فيقول: "ومما حدث وقائع النصيرية والإسماعيلية (نيسان 1919- 1337) فأغار صالح العلي مع مجموعان من النصيرية على الإسماعيلية في جبل الكلبية في قرى عقر زيتي وخربة الفرس وجمعه شبه (يقصد الجمعيشية: الباحث) وغيرها من قرى الإسماعيلية، وفي ناحيتي الخوابي والقدموس، وسكانهما إسماعيلية، فنهبت القدموس وخربت بعض بيوتها، وكانت المعركة دامية بين الطائفتين قدر بعضهم قتلاها بمائتين وزاد أخرون الى أكثر من ذلك. انظر: محمد كرد علي، خطط الشام، الجزء الثالث، ط3، (دمشق: مطبعة النوري، 1983)، ص170- 171.



وريفها، ومن ثم تقلص الوجود الإسماعيلي في الساحل السوري، وهذا ما ظهر من خلال طبيعة حكومة العلويين التي شكلتها فرنسا، التي تدير سنجقي اللاذقية وطرطوس، فقد فرضت وجود عضو إسماعيلي في المجلس الذي يعاون حاكم المنطقة، إضافة إلى 7 أعضاء علويين، و2 مسيحيين، و2 مسلمين سنة، حيث عكست هذه الصيغة حقيقة تقلص الوجود الإسماعيلي في المنطقة العلوية المستقلة التي شملت كل المناطق التي جرت فيها الأحداث السابقة(53).

انتهت الأحداث العنفية بين الطائفتين مع انطلاق الثورة السورية عام 1925 ضد الانتداب الفرنسي إلا أن بعض مشاعر الكراهية بينهما بقيت راسخة في ذكريات كبار السن التي عايشوا الاقتتال والتهجير، وانتقلت عبر السرديات الشعبية إلى الأجيال اللاحقة، خاصة لدى المتدينين من الطائفتين كلتيهما.

في إثر الاستقلال الوطني السوري عام 1946، وصعود أحزاب سياسية علمانية، متمثلة بالكتلة الوطنية وحزب الشعب واليسارية المتمثلة بـ (الحزب الشيوعي السوري، الحزب القومي الاجتماعي، حزب البعث)، وانخراط الشباب السوري من المكونات الطائفية السورية كافة فيها، وخاصة من الطائفتين الإسماعيلية والعلوية حيث عادت العلاقات الطبيعية بين أفراد الطائفتين، حيث لم يطرأ أي صراع عنفي يذكر(54).

بل انتقلت العلاقة إلى مستوى التحالفات الحزبية السياسية بعيدًا عن التوجهات الطائفية، حيث نجح حزب البعث في إيصال مرشح علوي من قرية الصبورة إلى البرلمان مقابل المرشح الإسماعيلي التقليدي من الأمار، أي إن الإسماعيليين أغلبهم صوتوا للمرشح البعثي بغض النظر عن خلفيته الطائفية العلوية، وعُدَّ ذلك تطورًا نوعيًا(55).

في زمن الانفصال شكل حزب البعث ما سمي باللجنة العسكرية السرية في سوريا التي جاء قادتها كافة من أقليات المجتمع السوري(56)، قادت هذه اللجنة سوريا بشكل فعلي منذ بداية انقلاب البعث 1963، وحتى انقلاب حافظ الأسد عام 1970.

ومن منظور النكتة السياسية الساخرة أطلق الدمشقيون (الشوام) على نظام البعث في الحكم عام 1966 بحكومة « عدس»، حيث البنية القيادية في الحزب تعود طائفيًا إلى العلوية، الدرزية، الإسماعيلية.

مع التحضير لانقلاب الأسد الأب عام 1970 تم تصفية العناصر القيادية الإسماعيلية في الجيش وحزب البعث(57). لذلك كانت المعارضة الأوسع لنظام الأسد الأب من أوساط الإسماعيليين، حين اتخذ عدد مهم

(53) محمد كرد علي، خطط الشام، الجزء الثالث، مرجع سابق ص170.

(54) هنا لا بد من التنويه الى استقبال العائلات الإسماعيلية التي هُجرت من القدموس الى السلمية وريفها بسبب الحوادث العنفية بين الطائفتين العلوية والإسماعيلية لعشرات العائلات العلوية من الساحل للعمل في أراضيهم ضمن ما يسمى (المرابعة)، أي تقديم اليد العاملة في الأرض مقابل الحصول على ربع المحصول (1950 -1980). وهذا مؤشر إلى طي صفحة الماضي العنفي (الكاتب).

(55) عقاب يحيى، مدينة السَلَمِّية السورية(2) https://mena-studies.org/ar/

(56) كان جل عناصرها من الضباط الصغار، أو من أصحاب الرتب العسكرية المتوسطة. وكانت تنتمي إلى جذور طائفية معينة، بالصدفة أولًا، وهي الجذور العلوية أولًا، والدرزية ثانيًا، والإسماعيلية ثالثًا، أبرز قادتها صلاح جديد، حافظ الأسد (العلوية) وأحمد المير (إسماعيلي من مصياف) وعبد الكريم الجندي (من السلمية). راجع كتاب: مطاع صفدي، حزب البعث، مأساة المولد.. مأساة النهاية"، ص301.

(57) حيث أعفي الإسماعيلي أحمد المير من منصبه قائدً للوحدات العسكرية على الجبهة السورية الإسرائيلية خلال حرب حزيران، المير الذي كان عضوًا مؤسسًا في اللجنة العسكرية البعثية، اختير عضوًا في القيادة القومية لحزب البعث في سبتمبر (أيلول) 1967. وفي أكتوبر (تشرين الأول) 1968 استبدل بالمير في هذا المنصب شخص آخر، ليُعيَّن بالسفارة السورية في مدريد. وفي خضم الصراع بين صلاح جديد وحافظ الأسد العلويين، وقبيل انعقاد المؤتمر القطري الاستثنائي

من البعثيين موقفًا معارضًا، وصلبًا ضدّ الانقلاب، وكان على رأس هؤلاء المعتقلين المناضل المعروف مصطفى رستم[58]، وعدد من قيادات الفرع والشعبة والإطارات، في حين كان التنظيم السري المعارض يعمل على الانتشار، وكان في قيادته وصفوفه عدد مهم من مدينة السلمية.

واتسعت المعارضة لنظام الأسد الأب في الأوساط الإسماعيلية بعد انشقاق الحزب الشيوعي السوري إلى (الحزب الشيوعي- المكتب السياسي)، وكذلك الاتحاد الاشتراكي الديمقراطي (الأتاسي)، وصعود حزب العمل الشيوعي (سابقًا رابطة العمل الشيوعي)، هذا ما أدى إلى أن تكون نسبة المعتقلين من مدينة السلمية عالية جدًا مقارنة بالمدن السورية الأخرى.

في الوقت نفسه، حاول النظام (الأسد الأب) أن يمنح الطائفة الإسماعيلية، كما غيرها من الطوائف، موقعًا قياديًا ما في بعض مفاصله، من دون أن يعطي هذا الموقع أو ذاك بعدًا طائفيا ظاهرًا، بل إنه حاول دائما أن يظهر الأمر على أنه مشاركة سياسية، أما في الواقع فهي شكل من أشكال المحاصصة الطائفية يتبع كأسلوب أو آلية لشراء الولاء،[59] ولعل قراءة التفاصيل الخاصة بالأشخاص الذين ينتمون للطائفة الإسماعيلية ممن وصلوا إلى مواقع متقدمة في هيئاته التنفيذية يتبين أن هؤلاء قد وصلوا إلى ما وصلوا إليه بعد تاريخ طويل من خدمتهم في مؤسساته، فهؤلاء إما أمنيون (أو منزلتهم الاجتماعية متدنية في الوسط السلموني)، وضمن هذا المسار أيضًا بات من الممكن فهم أن يكون رئيس (مؤسسة الآغا خان للتنمية) في سورية وزير سابق ولواء سابق في جهاز الأمن السياسي[60]. هذا التجانس بين أشخاص إسماعيليين يعملون في مواقع المسؤولية في نظام هيمنت على مواقع المسؤولية فيه صبغة طائفية محددة هي العلوية، قابله تجانس آخر لدى النخب السياسية المعارضة التي تقاسم فيها إسماعيليون وعلويون مع أفراد وجماعات من طوائف أخرى مرارات الاعتقال السياسي لعشرات السنين في السجون، وفي الملاحقات السياسية، وخاصة حزب العمل الشيوعي، واعتقال المئات من الشباب الإسماعيلي والعلوي في سجون الأسد لمدة طويلة خفف من رواسب مشاعر الكراهية الصادرة من سرديات الأجداد عن الحوادث العنفية التي حصلت في الماضي.

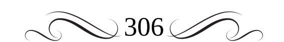
حصلت في هذه المرحلة حالات زواجية متبادلة بين العائلات العلوية والإسماعيلية استنادًا إلى نمط الزواج الحر (الاتفاق بين الشاب والفتاة) في الجامعات أو مؤسسات العمل، وأحيانًا فرض هذا النمط من الزواج أمرًا

بوقت قصير، حاصر أنصار الأسد العسكريون مقر قيادة العقيد عبد الكريم الجندي (المؤيد المخلص لجديد) الذي كان يشغل منصب رئيس الأمن الوطني ورئيس إدارة المخابرات العامة، واختطفوا عددًا من مساعديه وأنصاره، وصادروا السيارات الخاصة بمكتبه، أما بالنسبة إلى عبد الكريم الجندي فقد انتحر، وبعد أيام من استيلاء الأسد على السلطة اعتقلت أجهزته الأمنية أعضاء القيادة القطرية الذين لم ينضموا إليه، وكان من بينهم الإسماعيلي مصطفى رستم، والأديب والأستاذ الجامعي الإسماعيلي سليمان الخش.

(58) بقي في معتقلات الأسد (23) سنة، وعندما خرج استمر بالعمل السياسي المعارض وكان له مواقف مؤيدة وواضحة من الثورة السورية 2011.

(59) انظر: حسان عباس، إدارة التنوع في سورية: "لم تغب عن السلطة السورية يوما مسألة الفسيفساء السورية، مع أنها لم تفصح البتة عن اهتمامها بأمرها. وقد بنت السلطة صورة الوحدة الوطنية المستقرة من خلال التظهير الكثيف لأسطورة علمانيتها النسبية المستقاة من مبادئ حزب البعث الحاكم. فعلمانية البعث التي تفصل الدين عن الدولة كان يفترض بها أن تصون السلطة التي هيمن عليها الحزب من الوقوع في مطبات المحاصصة (الطائفية على الأقل). لكن في الواقع، ومن خلف الصورة السطحية للأشياء، تصبح المحاصصة قانونا غير مكتوب (عرفا) تلتزم به السلطة في بناء مؤسسات الدولة (باستثناء المؤسسات صاحبة السلطة الحقيقية). ما من مجلس وزاري، أو مجلس شعب، أو مجلس بلدي... تشكل في البلاد إلا وكانت المحاصصة في خلفيات تشكيله. ففي كل وزارة نجد بالضرورة نسبة ثابتة من الوزراء ينتمون الى هذه الطائفة أو تلك، أو هذه القومية أو تلك. بل كانت بعض الوزارات، وخلال مدة زمنية طويلة، موقوفة على هذه الطائفة أو تلك. فقد بقي وزير السياحة مسيحيًا لزمن طويل، كما بقي وزير الإعلام علويًا وواحد من وزراء الدولة إسماعيليا" http://www.maaber.org/issue_july12/spotlights1.htm

(60) اللواء محمد سيفو، رئيس فرع الأحزاب في الأمن السياسي، وبعد تقاعده رئيس مؤسسة الآغا خان للتنمية في سورية، ومن ثم وزير دولة.



واقعًا على العائلتين.

استمرت العلاقات الاجتماعية الطبيعية بين الطائفتين إلى عام 2005، حيث عاد التوتر بينهما في كل من مصياف والقدموس، وقد تعددت الروايات عن الأسباب التي تقف وراء هذا التوتر، بداية من رواية النظام السوري على لسان الإعلام الرسمي للنظام أن ما حدث هو مجرد مشاجرة بين عدد من السائقين الذين يعملون على خط مصياف – حماة نتيجة خلافهم على الدور لنقل الركاب(61). وبعد ثلاثة شهور من أحداث مصياف جرت وقائع مماثلة في مدينة القدموس، سارع إعلام النظام الى الإعلان عنها هذه المرة، ولكن تحت مسمى جديد(62).

أما حزب العمل الشيوعي المعارض في سورية، فقد أرجع الأحداث إلى طبيعة النظام الاستبدادي، وهيمنة الأجهزة الأمنية على مؤسسات الدولة، ونبه الى أن هذه الأحداث هي ملامح لحرب أهلية في المستقبل(63).

كذلك وصف السياسي المعارض فائق المير من بلدة القدموس(64) ما حدث بين الطائفتين بالاستباحة الممنهجة من قبل شبيحة نظام الأسد لمدينة مصياف والقدموس.

في مرحلة الثورة السورية 2011، لم تحدث اصطدامات عنفية مباشرة، إنما التوتر كان واضحًا بين الطائفتين، بسبب اشتراك الشباب الإسماعيلي في تظاهرات المدن السورية واحتجاجاتها كافة.

لكن الحادثة العنفية ذات الطابع الطائفي في هذه المرحلة وقعت في يوم 2/10/2013، حيث أوقفت مجموعة من شبيحة منطقة القبو العلوية على طريق حمص- مصياف سيارة تقل عائلة إسماعيلية، مكونة من الزوجين وطفلتين، المتجهين من السلمية إلى القدموس، وذبحتهم جميعًا.(65)

على الرغم من محاولات أجهزة أمن النظام السوري جر الطائفتين (الإسماعيلية والعلوية) إلى التصادم في زمن الثورة السورية 2011، إلا أنه لم يحدث أي اصطدام بشكل واضح حتى في البلدات التي يقطنها الإسماعيليون والعلويون معًا، وهذا يعود إلى وجود كتلة شبابية سياسية يسارية معارضة للنظام السوري أمضت سنوات عدة في المعتقلات من الطائفتين كلتيهما فوتت فرصة الاصطدام هذه.

الإسماعيليون والشيعة الاثنا عشرية

يشكل الشيعة الاثنا عشرية 0.4 في المئة من سكان سورية، لكن بعد الحرب الأميركية على العراق 2003،

---

(61) نشرت جريدة الثورة بتاريخ 5 /4 /2005 عن الحوادث كشجار بين السائقين العاملين على خط حماة- مصياف لينتقل إلى عائلات السائقين وأقاربهم أيضًا.

(62) انظر: نشرت صحيفة الثورة بتاريخ الخميس 14 /7/2005 نشرت تقريرًا عن الحادثة كشجار بين بعض العائلات في البلدة. http://thawra.alwehda.gov.sy/_archive.asp?FileName=740139

(63) حول ما حدث في القدموس جاء في تقرير المكتب السياسي لحزب العمل الشيوعي المعارض (آب 2005) الآتي: «ما حدث في بلدة القدموس ومن قبل مصياف عبارة عن اصطدامات اشترك فيها مئات المواطنين بينهم الكثير من البعثيين والشبيبين والسلطويين من ذوي «النفوذ الصغير».. كلهم ممن نكصوا إلى عصبياتهم الطائفية بدلًا من انتمائهم السياسي والحزبي.. إنها أحداث شكلت ضغطًا شديدًا على النظام لأكثر من سبب. فالأحداث الطائفية أطلت على السوريين من بوابة مصياف والقدموس لتؤشر الى واقع حاول النظام مرارا أن يغفله، ولتكشف أن ما جرى تسويفه قبل عقود سيعود، ليس فقط عبر تصرفات غوغائية من قبل البعض، بل عبر سياسات النظام نفسه..» http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=45826

(64) انظر حواره في موقع كلنا شركاء، على الرابط: http://www.all4syria.info/Archive/58723

(65) انظر: 05 https://www.zamanalwsl.net/news/article/41824/ تشرين الاول 2013



وفدت أعداد تقدر بالآلاف من الشيعة العراقيين إلى سورية حيث الأمن فيها، وأبرز المناطق التي يوجد فيها الشيعة بسورية هي: في العاصمة دمشق زين العابدين والجورة والأمين، وكفريا والفوعة شرقي إدلب، والتي يبلغ عدد سكانها 20 ألف نسمة كلهم شيعة، وفي درعا حيث يوجد حوالى ألف نسمة، وفي حمص يتوزع الشيعة على قرى كثيرة أهمها أم العمد، وتوجد أقلية مهاجرة من لبنان تمركزت في مناطق عدة منها: الشيخ مسكين، نوى، مزاريب، المليحة، الكسوة[66].

ما يجمع الطائفتين الإسماعيلية والاثني عشرية الإيمان المشترك بإمامة ذرية «أهل البيت»، والاعتراف المشترك بينهما بإمامة أبناء علي بن أبي طالب، وبالعودة إلى التاريخ السوري الحديث تبين عدم وجود صدام بين الطائفتين تاريخيًا في سورية.

بعد انتصار الثورة الخمينية عام1979 في إيران وشعارها الرئيس تصدير الثورة (تشيع المسلمين الآخرين) بدأت محاولات التشيع في الثمانينيات في السلمية من خلال جمعية المرتضى التي تزعمها جميل الأسد[67]، وقد باءت بالفشل. وفي ما بعد تشيع بعض الشباب في مدينة السلمية وريفها بأعداد قليلة جدًا تعد على أصابع اليدين، حيث بُنِيتْ «حسينية» في الحي الشمالي الغربي في السَلمية قبل الثورة بسنوات، إلا أن الدخول الإيراني العلني في معركة النظام ضد غالبية السوريين عام2011، والاستقطاب السياسي والعسكري، والاصطفاف مع النظام من قبل شرائح اجتماعية وطائفية من مستويات عدة في المدينة، أذن بالانطلاق العلني نحو تلك الظاهرة (التشيع)، مع مباركة ضمنية من النظام وممثليه الأمنيين والعسكريين في السلَمية بعد 2011، إضافة الى عدم اعتراض المجلس الشيعي الإسماعيلي الأعلى في السلمية.[68]

الإسماعيليون والدروز

الكثافة الأعلى للدروز[69] السوريين في المنطقة الجنوبية بجبل العرب في محافظة السويداء، فضلًا على وجود أكثر من 40 ألف درزي في هضبة الجولان المحتل يتحدثون اللغة العربية، ويطلقون على أنفسهم اسم «الموحدين” ويشكلون نسبة 3 في المئة من سكان سورية.

أما بالنسبة إلى العلاقة بين الإسماعيليين والدروز في سورية، تلحظ العلاقات الاجتماعية الحميمية بين مواطني الطائفتين في المدن السورية كافة، وخاصة في دمشق، وينادي بعضهم بعضًا بأولاد العم للدلالة على علاقات القربى بينهما، وعلى أن الطائفة الدرزية تعود في جذورها إلى الإسماعيلية.

---

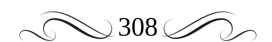
(66) محمد مظهري، «أوضاع الشيعة في سوريا»، مركز بيروت لدراسات الشرق الأوسط، 2014/6/1.

(67) جمعية المرتضى (1981 -1983) في إثر انتفاضة الاخوان المسلمين ضد حافظ الأسد في عام 1981، أنشأ جميل الأسد (الشقيق الأكبر للرئيس حافظ الاسد) جمعية الإمام المرتضى بواجهة اجتماعية ومهمات طائفية بالتزامن مع مساعيه إلى تعزيز منزلته في سلم التشييع، فانتزع لنفسه صفة الإمام آية الله جميل الأسد. وأقام علاقات متينة مع الإيرانيين، حيث حظيت بدعم مالي ومعنوي من قبل المرجعيات الشيعة في العراق وإيران التي اهتمت اهتمامًا كبيرًا في تشييع الطائفة العلوية، استنادًا إلى مقولة تصدير الثورة، حيث افتتح جميل الأسد العشرات من الحسينيات في أنحاء سورية

(68) عبد الله أمين الحلاق، «التشيُّع في السلَميّة: سلطة ونفوذ وتقاطع مصالح».

www.almodon.com/.../a9633e708-e204951--bfef-18a0392e

(69) الديانة الدرزية تُعتبر مذهبًا دينيًّا تحت اسم مذهب التوحيد، يبلغ عدد أتباع هذا المذهب حوالى مليون ونصف شخص في العالم، يعيش أغلبهم في الشرق الأوسط (سورية، لبنان، الأردن، فلسطين).



كذلك العلاقة بين الإسماعيليين وبقية المكونات الدينية ودية، ولا روايات عن صراعات ذات طابع ديني وطائفي، وخاصة مع المسيحيين حيث ينتشرون في أنحاء سورية كلها، وتحديدًا في محافظة حماة، حيث العلاقات الاجتماعية الحميمية بين الإسماعيليين والمسيحيين، وكذلك الأمر في بقية المدن السورية كافة، وهم يمثلون نحو 10 في المئة من السكان. ويعد المجتمع المسيحي في دمشق من أقدم المجتمعات المسيحية في العالم.

وكذلك الأمر مع بقية المكونات الدينية والقومية (الكرد، التركمان، الشركس، الأرمن... إلخ) في سورية اتسمت هذه العلاقات بالودية، حيث لم تحدث أي اصطدامات عنفية على خلفية دينية أو غيرها.

الإسماعيليون والثورة السورية 2011

شارك الإسماعيليون في مجمل التطورات السياسية التي عاشتها سورية، منذ استقلالها عن السيطرة العثمانية، مرورًا بالانتداب الفرنسي، وصولًا الى مرحلة ما بعد الاستقلال، حيث شارك «السلامنة» في الحياة السياسية عبر انتساب كبار العائلات التقليدية الأمراء (الأمار) إلى الأحزاب التقليدية التي كانت تحتل المشهد السياسي من مثل الكتلة الوطنية وحزب الشعب، وقد وجدت القوى السياسية الجديدة التي انضمت إلى المشهد السياسي السوري كالحزب السوري القومي الاجتماعي، والحزب الاشتراكي العربي، والحزب الشيوعي، تربة خصبة لها بين أبناء مدينة السلمية الذين اندفع شبابهم إلى التحزب ضمن هذه الأطر التي انفضت لاحقًا إلى بيئة سياسية قوية مستندة إلى أرضية قوامها كثرة المتعلمين بين السكان.

غير أن ولادة حزب البعث العربي الاشتراكي في العام 1947 لعبت دورًا أساسًا في علاقة سكان مدينة السلمية بالعمل السياسي بشكل عام، وخاصة وجود كوادر سياسية قيادية في الحزب من مثل سامي الجندي، وبخاصة بعد اندماجه مع العربي الاشتراكي، اكتسح الساحة بقوة، مستفيدًا من المدّ القومي، وخاصة بعد ملاحقة أفراد الحزب القومي السوري أصبح القوة الضاربة المنتشرة ليس فقط لدى المتعلمين والنخب، بل لدى الفلاحين والعمال في الأوساط الإسماعيلية.

في إثر انقلاب الأسد الأب في عام 1970، وبروز معارضة سياسية ذات طابع علماني حزب البعث الديمقراطي -قيادة 1966- والحزب الشيوعي -المكتب السياسي- وحزب الاتحاد الاشتراكي الديمقراطي -الأتاسي- وحزب العمل الشيوعي -رابطة العمل الشيوعي سابقًا- وأحزاب أخرى، كان للشباب الإسماعيلي دور قيادي في هذه الأحزاب، حيث اعتقل المئات منهم لسنوات عدة في المعتقلات الأسدية.

استنادًا إلى هذا التاريخ السياسي للإسماعيليين جاءت مشاركتهم طبيعية في الثورة السورية عام 2011 منذ انطلاقتها الأولى في المدن السورية كافة، ظهر ذلك من خلال اعتقال عدد من الشباب الإسماعيلي في دمشق وغيرها، وكذلك لم تتأخر مدينة السلمية - المركز الرئيس للإسماعيليين في سورية - عن المشاركة من خلال التظاهرات والاحتجاجات السِّلمية، حيث انطلقت التظاهرة الأولى في مدينة السلمية بتاريخ 25 آذار/ مارس، حيث خرج بضعة أفراد في غفلة من الأجهزة الأمنية، تجمهروا في ساحة المدينة، وهتفوا للحرية لأول مرة تضامنًا مع مدينة درعا[70].

(70) صبر درويش، «مدينة السلمية: يوميات من بداية الثورة»، http://syria.alsafahat.net/

استمرت التظاهرات والاحتجاجات ضمن السياق السلمي كما هو حالها في المدن السورية، ملتزمة بشعارات الثورة السورية الرئيسة (الحرية، الكرامة، العدالة) بمشاركة المكونات الطائفية كافة (الإسماعيلية، السنية، وأعداد رمزية من العلوية) في مدينة السلمية وريفها[71].

في ما بعد، وبالتحديد في شهر حزيران من عام 2011، انتهجت الأجهزة الأمنية منحى آخر للتعامل مع التظاهرات والاحتجاجات في السلمية، حيث دفعت أعداد كبيرة من المؤيدين للنظام لمواجهة المتظاهرين بالعصي والحجارة بقيادة عائلة (آل سلامة)[72].

التحول النوعي في تظاهرات السلمية حصل في إثر المجزرة التي ارتكبها النظام في مدينة حماة، والتي سميت بـ «مجزرة أطفال الحرية»، حيث تجمع الآلاف من الشباب في وسط مدينة السلمية للتبرع بالدم لأهالي مدينة حماة، ورفع في تلك التظاهرة شعار الثورة السورية الرئيس «الشعب يريد إسقاط النظام»، وشعار الحرية[73] .

في هذه المرحلة، وجد الشباب الإسماعيلي في مدينتي مصياف والقدموس صعوبة في التظاهر والاحتجاج، كما هو حاصل في مدينة السلمية، بسبب الوجود الكثيف للعلويين الموالين للنظام[74]، لذلك لجأ الناشطون إلى الذهاب إلى مدن أخرى (حمص، حماة) للتظاهر والقيام بالأعمال الثورية، وعلى الرغم من ذلك الوضع الأمني المعقد، وبتاريخ 20/8/2011 خرجت تظاهرة هتفت للحرية.[75].

في إثر اقتحام مدينة حماة بتاريخ 2011/7/31 بعد تظاهرتها الكبرى التي تقدر بحوالى المليون، حدثت تحولات نوعية في نشاط مدينة السلمية.[76]

في هذه المدة حاول النظام خلق شرخ طائفي في مدينة السلمية بين الإسماعيليين والسنة [77]، وقد باءت

(71) صبر درويش، «مدينة السلمية: يوميات من بداية الثورة»، http://syria.alsafahat.net/

(72) عائلة علوية تقيم في السلمية، شكلت مجموعات من الشبيحة والحواجز بدعم من رئيس فرع المخابرات الجوية في حلب أديب سلامة، ومن أشهر الحواجز ما أطلق عليه حاجز المليون، حيث كان على المواطن من المناطق الشمالية، وخاصة الرقة، للذهاب إلى دمشق أن يدفع للحاجز ألف ليرة سورية في ذلك الوقت، بحيث يُجمع مليون ليرة في اليوم. وبسبب ازدياد نشاط الشبيحة الذين غلب عليهم اللون الطائفي العلوي، والذين وفدوا إلى السلمية من القرى المجاورة للمدينة كخنيفس، وشكارى، والمخرم، أم العمد، وصبورة، إضافة إلى الشبيحة "السلامنة" أنفسهم، والذين برزت منهم عائلة سلامة، التي استمدت قوتها من العميد أديب سلامة رئيس فرع المخابرات الجوية في حلب، حيث زوّد أفرادها بالأسلحة الخفيفة ليشكلوا ميليشيا حقيقية، تعتقل الناشطين، وتسجنهم في سجونها الخاصة قبل أن تسلمهم للأجهزة الأمنية، وفي الوقت نفسه تستبيح حياة "السلامنة"، عبر تكريس حالات الخطف من أجل طلب الفديات، وعمليات ترهيب السكان واللاجئين عبر إطلاق العيارات النارية بصورة يومية حول المدارس التي أوى إليها النازحون لإخافتهم وإخراجهم منها. واعتقال من يسهم في مساعدة اللاجئين،

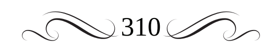
(73) صبر درويش، «مدينة السلمية: يوميات من بداية الثورة».

(74) وصف بعضهم التظاهر في مصياف والقدموس "كالتظاهر في فرع أمن». راجع: "مصياف مدينة ذات غالبية علوية تنأى بنفسها عن مناصرة الأسد"، جريدة الشرق الأوسط، ع: 12231، (الخميس 04 رجب 1433 هـ 24 مايو 2012).

(75) حصلت التظاهرة في إثر تشييع، إذ تحول تشييع الشهيد محمد وطفة الذي قضى في أثناء أداء خدمته العسكرية إلى تظاهرة عارمة هتفت للشهيد والحرية. وفي اليوم التالي اقتحمت الأجهزة الأمنية وقطعان الشبيحة مصياف، ما تسبب باستشهاد الناشط السياسي موفق زينو.

(76) اقتحمت مدينة حماة من الاتجاهات كلها بعد حصارها لمدة شهر، حيث انتهت تظاهرات مدينة حماة. وقد تلا هذا الاقتحام اعتقال الأجهزة الأمنية العشرات من ناشطي مدينة السلمية، واستدعاء المئات للتحقيق معهم، وقد ظهر للجميع بأن هناك قرارًا بإنهاء الحراك الثوري في المدينتين كلتيهما بأي شكل من الأشكال، وقد فرض هذا الواقع الجديد على الناشطين الثوريين في عموم المحافظة، ومن بينهم ناشطو السلمية ومصياف والقدموس، تغييرًا قاسيًا في برنامجهم الثوري، فبدلًا من التظاهرات الكبيرة التي بلغ عدد المشاركين فيها عشرات الآلاف، بات المتظاهرون يخرجون بأعداد قليلة خشية تعرضهم لهجوم الأجهزة الأمنية، وتحول النشاط العلني إلى السرية مرة أخرى، وبدلًا من التركيز على التظاهر تحول كثيرون إلى العمل على إغاثة اللاجئين الذين وفدوا إلى المدينة من حماة وحمص، وشيئا فشيئا تراجع النشاط الثوري تحت الضغوط الأمنية الكبيرة

(77) تحدث ناشطون في المدينة عن أن النظام "حاول خلق فتنة طائفية في السلمية حين اتهم أبناء من الطائفة السنية بمحاولة تمزيق الصورة التي تظهر إمام



محاولته بالفشل لوعي المكونين كليهما طبيعةَ النظام الاستبدادي.

بذلت الأجهزة الأمنية كل السبل بهدف إظهار الطائفة الإسماعيلية في المجتمع السوري أنها تقف إلى جانب النظام، إلا أن مشاركة الشباب الإسماعيلي في تنسيقيات وتظاهرات المدن السورية ذات الأغلبية السنية من خلال اللافتات التي تبرز مشاركتهم في هذه التظاهرات والاحتجاجات؛ أدت إلى فشل جهد النظام بصبغ التظاهرات والاحتجاجات بالصبغة الطائفية.

آنذاك تعرّض مئات الشباب من مدينة السلمية وريفها إلى الاعتقال والتعذيب، وتجاوز عدد المعتقلين الألف، وهناك عدد من المفقودين حتى الآن[78]، بينما كانت قائمة المطلوبين تتجاوز الـ 400، وفي تشييع جنازة الشهيد الأول في السلمية (جمال الفاخوري)[79] واجه النظام المشيعين بالرصاص، ما أدى إلى استشهاد بعضهم وجرح العشرات [80].

وفي إثر تحول الثورة السورية باتجاه الأعمال العسكرية، كان للشباب الإسماعيلي دور متواضع في العمل العسكري أيضًا، من خلال تشكيل بعض الكتائب العسكرية في الريفين الشرقي والشمالي لمدينة السلمية، والتعاون مع بعض الفصائل الإسلامية الموجودة في تلك المنطقة[81].

في بداية عام 2013 نفذ النظام بعض التفجيرات العسكرية[82] في مدينة السلمية، لتحويل أنظار الإسماعيليين باتجاه الخطر الطائفي القادم من السنة، والدعوة للتطوع في ما يسمى جيش الدفاع الوطني لحماية السلمية من الفصائل الجهادية السلفية[83]. وبدأت تظهر حالات من الاصطدامات بين مجموعات مسلحة من الطائفتين الإسماعيلية والعلوية داخل مدينة السلمية، الذين ينتمون جميعهم تقريبًا إلى مجموعات مسلحة موالية للنظام، وفي إثر ذلك برز توجه سلموني عام «إسماعيلي وسني من المعارضين والموالين بالدعوة لإخراج قوات

الطائفة الإسماعيلية كريم آغا خان بجانب صورة بشار الأسد.. لكن خبرة أهالي المدينة ووعيهم حالا دون ذلك". انظر: بولا أسطيح، "«السلمية».. مدينة «الفقر والفكر»"، جريدة الشرق الأوسط، ع: 12216، (الأربعاء 18 جمادى الثاني 1433).

(78) من أبرز المفقودين حتى الآن الطبيب حيان محمد محمود المتخصص بجراحة القلب الذي اعتقل من مستشفى المجتهد بمدينة دمشق بتاريخ 16 تموز/ يوليو 2012، ومازال مصيره مجهولًا.

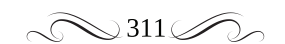
(79) من الطائفة السنية في مدينة السلمية، استشهد في غوطة دمشق في أثناء نقل الأدوية من دمشق إلى زملكا.

(80) أبرز شهداء السلمية: علي القطريب، كريم نصرة، ملهم رستم، وأسماء أخرى.

(81) تشكلت أول كتيبة بشكل غير معلن تحت اسم كتيبة "درع البادية" بتاريخ1-10-2012 لتجمع ضمنها عددًا من المجموعات المسلحة الصغيرة المتفرقة، وبعد شهور عدة انفرط عقد هذه الكتيبة، ليشكل أفراد منها كتيبة جديدة حملت اسم "كتيبة شباب سلمية"، ولتتأسس أيضا "كتيبة أحرار سلمية" التي بدأت بنشاطها بالتعاون مع كتائب الفاروق في المنطقة، وبتاريخ 11/3/2013 أعلنت مجموعة من أبناء السلمية بيان تشكيل "لواء شهداء مدينة السلمية - كتائب الوحدة الوطنية التابع للجيش السوري الحر الذي يضم كل من كتيبة فوزي القاوقجي وكتيبة ثوار الشميميس وكتيبة يوسف العظمة"، وقد جاء في البيان أن تشكيل هذا اللواء قد جاء "للدفاع عن تراب الوطن الغالي وكرامة شعبنا وحقوق أفراده بغض النظر عن معتقده وانتمائه الديني والمذهبي والسياسي، وحق المساواة بين كافة المواطنين هادفين الى بناء الدولة المدنية التعددية الديمقراطية والحفاظ على السلم الأهلي وملاحقة من ارتكب جرائم ضد الشعب السوري من الشبيحة والأمن والجيش على اختلاف انتماءاتهم ورفع الغطاء عن التجاوزات التي حدثت أو قد تحدث في صفوف الثوار أو من يحسبون أنفسهم عليهم». انظر الرابط: https://www.masarpress.net

(82) وقعت في مدينة السلمية منذ بداية العام 2013 انفجارات عدة، نتجت عن الاستهداف بسيارات مفخخة (تفجير معمل السجاد بتاريخ 21/1/2013 وتفجير قرية الكافات بتاريخ 9/1/2014)، إضافة إلى مقتل عدد من أبناء المدينة في مكان عملهم حين استهدف تفجير بوابة معامل وزارة الدفاع في مدينة حماة بتاريخ 6/2/2013، وتعرضت المدينة لقصف بالهاون من مصدر لم يتم التحقق منه بتاريخ 11/8/2013.

(83) غير أن دخول فصائل الجهادية السلفية خط العمل المسلح ضد النظام السوري خلق وضعًا عصيبًا على أبناء الطائفة الإسماعيلية المشاركين في الثورة، فقد بات هؤلاء في حال مواجهة مع النظام الذي يستهدفهم عبر الاعتقال والقتل، ومع الفصائل التي ترى أنهم أبناء الطائفة الإسماعيلية يجب استهدافهم بوصفهم من الأقليات المكفرة.



الدفاع الوطني وحواجزها من المدينة، حيث خرجت مظاهرة موحدة طالبت بذلك في شهر أذار 2014، وكان رد ميليشيات النظام الممثلة بالميليشيات العلوية بالدخول الى مدينة السلمية ورفع الشعارات الطائفية»[84]، وفي تلك المدة كان تنظيم الدولة(داعش) على الأطراف الشرقية والشمالية لمدينة السلمية يقصفها بالمدفعية بين الحين والآخر، وفي تاريخ 31/ 2015/3 اجتاح تنظيم الدولة قرية المبعوجة، ونفذ مجزرة بحق المدنيين بتواطؤ من قوات النظام المتمركزة في المنطقة[85].

وفي تاريخ 23/ أيار/ 2017 يعود تنظيم «داعش» ثانية لارتكاب مجزرة بحق المدنيين العزل في قرية عقارب الصافية [86] التي تبعد عن مدينة السلمية حوالى 25 كيلومترًا مربعًا.

توقفت التظاهرات والاحتجاجات في مدينة السلمية، كحال المدن السورية الأخرى بعد الانتقال إلى العمل العسكري، وخاصة بعد تشكيل الفصائل الراديكالية السلفية، حيث شعر الإسماعيليون بأنهم وقعوا بين سندان النظام الاستبدادي ومطرقة الفصائل الاسلامية الراديكالية، ومثال ذلك التصريحات العدائية تجاه مدينة السلمية من بعض المحسوبين على المعارضة[87]، ثم عامل الهجرة الذي فتح الباب واسعًا لمغادرة عشرات آلاف الشباب والعائلات، معظمهم من المحسوبين على الثورة، وبخاصة بعد حصار سلمية من الجهات كلها: بقوات النظام التي راحت تستعيد المبادرة وتتسع بتشكيل قوات الدفاع الوطني، وتطلق اليد لعصابات الشبيحة قتلًا وتصفية واختطافًا وبلطجة يومية، وداعش التي وصلت إلى تخوم المدينة، واحتلت عددًا من القرى التابعة للمنطقة في الجهة الشرقية والشمالية، والتي ارتكبت عددًا من المجازر، بينما توجد «جبهة النصرة» / جبهة تحرير الشام/ في المنطقة الجنوبية الغربية، وذلك كله يمنح النظام أوراقًا لمصلحته، وبخاصة أن حرب الإشاعات باقتحام المدينة من داعش وارتكاب مجزرة شاملة فيها كانت عامل خوف معمم اضطر الناس إلى السكوت لوجود النظام، وهم يعرفون أنه ضدهم، وأنه يخادعهم لكسبهم إلى صفّه.[88].

أدت حملات التجنيد الإجباري وتردي الوضع الأمني والمعيشي إلى هجرة حوالى 6000 آلاف شخص، تشكل العائلات ما نسبته 40 في المئة، ومن هم تحت سن العشرين 10في المئة، وتشكل الإناث النسبة الأقل، بحسب إحصائية أهلية شبه رسمية.[89]

(84) أبرز الشعارات الطائفية: «علوية علوية، بدنا ندوسك سلمية» بهذا الشعار دخلت أرتال الشبيحة إلى مدينة السلمية بعد تظاهرة حاشدة اشترك فيها مؤيدو النظام ومعارضوه، هدفت إلى إخراج الشبيحة من العائلات الإسماعيلية والعلوية من المدينة.

د.م، «تظاهرة ضد الشبيحة في مدينة السلمية في حماة»، جريدة الحياة، 4 آ1ار/ مارس 2014، http://www.alhayat./877351/–تظاهرة-ضد–الشبيحة com/Articles في-مدينة-السلمية-في-حماة

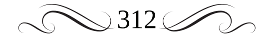
(85) للمزيد انظر: تقرير https://www.alaraby.co.uk/#whatsapp، كذلك لا بد من التأكيد أن المخطوفين من قبل داعش في تلك المجزرة مازال مصيرهم مجهولًا، ومنهم عائلة المعمار، حيث لم تقم مؤسسات النظام بأي بادرة لمعرفة مصيرهم، كذلك المجلس الإسماعيلي الأعلى في السلمية، وهذا مؤشر على تواطؤ النظام مع داعش في تلك المجزرة (الكاتب).

(86) للمزيد انظر: https://www.almodon.com/arabworld/2017/5/18/

(87) مثل تصريح رياض الأسعد، قائد الأركان حينئذ، بأن سلمية من المدن الموالية للنظام، وتصريحات غيره من قادة فصائل وضعوا سلمية في قائمة الموالين، والأقليات شأنها شأن بقية مناطق الأقليات. ثم الإصرار إعلاميًا على حذف مدينة سلمية في الشبكات الإعلامية الخاصة بالثورة، والإصرار على تسمية المنطقة بـ (ريف حماة الشرقي) الذي يغيّب اسم سلمية نهائيًا، وكأنه فعل مقصود.

(88) عقاب يحيى، مدينة السَلَمِية السورية.

(89) سامر القطريب، «سلمية.. تعايش في زمن الحرب»،



أما بالنسبة إلى المؤسسات الدينية والتنموية الإسماعيلية[90]، مثل بقية المؤسسات الرسمية السورية عملت بالتنسيق مع مؤسسات النظام السوري وأجهزته، وكذلك مثل بقية المكونات السورية كان هناك عدد من أفراد الطائفة الإسماعيلية موالين له، بل شكل بعض منهم مجموعات للتشبيح على إخوتهم المتظاهرين في المدينة.

بدلًا من خاتمة

أخيرًا أنهي هذه الدراسة ببعض الانطباعات الشخصية المعيشة من قبل (الكاتب) في المجتمع السلموني[91].

في البداية عن سؤال الهوية الطائفية الذي عادة ما يوجه لـ (الكاتب) من قبل الأصدقاء في المدن السورية الأخرى، والتردد في الإجابة بين (إسماعيلي أو سني)، حيث أجد الانتمائيين محببين لي، حيث انتماء أفراد عائلتي متشابك بين (السنة، الإسماعلية، اللاديني)، وهذا ما ينطبق على عائلات مدينة السلمية معظمها، حيث من الصعوبة تمييز الانتماء الطائفي بناء على اسم العائلة فقط، كما هو حاصل لدى بقية الطوائف السورية، إنما يحتاج إلى المعرفة الشخصية المباشرة.

أيضًا العلاقات الودية بين «السلامنة» وبقية مكونات السورية الدينية والطائفية والعرقية كافة في المدن السورية كلها، باستثناء الاصطدامات التي حصلت مع العلويين في مرحلة تاريخية محددة (الحكم العثماني، الانتداب الفرنسي)، وتركت سرديات الكبار (الأجداد) عن تلك الأحداث التي عايشوها بعض رواسب الكراهية وعدم الثقة بين بعضهما بعضًا من الطائفتين، وخاصة من المتدينين. ولكن انخراط الشباب الإسماعيلي والعلوي معًا في الأحزاب السياسية بعد استقلال سورية، واليسارية المعارضة لنظام الأسد (الأب والابن) وخاصة في حزب العمل الشيوعي واعتقال المئات منهم في سجون الأسد لسنوات عدة، والعلاقات الاجتماعية الودية المتبادلة بينهم وبين عائلاتهم أزالت رواسب الكراهية هذه.

أما الانقسامات التي يمكن الحديث عنها لدى الإسماعيليين تقع في الحقل الأيديولوجي والسياسي، وتعود إلى حقبة الخمسينيات والستينيات بين كل من البعثيين والقوميين السوريين بالدرجة الأولى، والشيوعيين بالدرجة الثانية، وخاصة في المرحلة الديمقراطية والانتخابات البرلمانية (1952 1957-)، وفي السبعينيات بين المعارضين للنظام الاستبدادي (البعث الديمقراطي-القيادة السابقة للبعث 1966) حزب العمل الشيوعي، الحزب الشيوعي - المكتب السياسي(حزب الشعب الديمقراطي لاحقًا)، وبعث النظام وأحزاب ما يسمى الجبهة الوطنية التقدمية المؤيدين للنظام الاستبدادي.

كذلك الأمر في سنوات الثورة السورية 2011 انقسم المجتمع السلموني إلى فريقين عريضين من دون سمات أيديولوجية أو حزبية سياسية، بل وصل هذا الانقسام إلى العائلة الواحدة بين المشاركين في الثورة ومؤيديها، والشبيحة والمتطوعين في الدفاع الوطني والمواليين للنظام الاستبدادي.

(90) بالنسبة على المؤسسات الإغاثية الإسماعيلية قدمت المساعدات لأسر المكونات الطائفية السورية جميعها، بمن فيهم المهجرون من حمص وحماة وغيرها، بناء على معايير المؤسسات الخاصة بالمساعدة (الكاتب).

(91) السلموني، مصطلح مرتبط بمدينة السلمية وريفها، وهو شائع ومحبب في أوساط سكان مدينة السلمية وريفها من الطوائف كافة، وعلى الأغلب هدفه عدم الحديث بالمكونات الطائفية في المدينة وريفها (إسماعيلية، سنة، علوية، شراكسة.. وغيرهم).

الإسماعيليون كافة لم ينتبهم شعور الأقلية في سورية تاريخيًا، بل تطلعوا وعملوا من أجل العيش مع بقية المكونات السورية كافة في دولة تقوم على معايير الحداثة والمواطنة، فهي الوحيدة الضامنة لمستقبل السوريين كافة.

المصادروالمراجع

1. الجندي. أحمد، لهو الأيام: مذكرات، ط1، (بيروت: رياض الريس للنشر، 1991).
2. الجندي. سامي، البعث، (بيروت، دار النهار للنشر، 1969).
3. السبحاني. جعفر، بحوث في الملل والنحل (إسماعيلية)، (قم/ إيران: مؤسسة الامام الصادق، د.ت).
4. السلومي. سليمان عبد الله، أصول الإسماعيلية: دراسة، تحليل، نقد، ط1، (الرياض: دار الفضيلة، 2001).
5. أمين. محمود، سلمية في خمسين قرنًا، (دمشق: مطبعة كرم، 1983).
6. تامر. عارف، تاريخ الإسماعيلية: الدعوة والعقيدة، ط1، (لندن/ قبرص: رياض الريس للكتب والنشر،1991).
7. بطاطو. حنا، فلاحو سورية، عبد الله فاضل، رائد النقشبندي (مترجمان)، ط1، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014).
8. حسين. محمد كامل، طائفة الإسماعيلية: تاريخها، نظمها، عقائدها، ط1، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1959).
9. خوندة. محمد، تاريخ العلويين وأنسابهم، ط1، (بيروت: دار المحجة البيضاء، 2004).
10. دفتري. فرهاد، تاريخ الإسماعيليين الحديث الاستمرارية والتغيير لجماعة مسلمة، سيف الدين القصير (مترجمًا)، (بيروت: معهد الدراسات الإسماعيلية/ دار الساقي، 2013).
11. غالب. مصطفى، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، (بيروت: دار الأندلس، بيروت، د.ت).
12. ــــــــ، أعلام الإسماعيلية، (بيروت: منشورات دار اليقظة العربية، 1964).
13. ــــــــ، الثائر الحميري الحسن بن الصباح، (بيروت: دار الأندلس، 1979).
14. كرد علي. محمد، خطط الشام، ط3، (دمشق: مكتبة النوري، 1983).
15. مظهري. محمد، أوضاع الشيعة في سوريا، (بيروت: مركز بيروت لدراسات الشرق الأوسط، 2014).
16. يونس. عبد اللطيف، ثورة صالح العلي، سلسة رواد التحرير العربي، ط2، (دمشق: وزارة الثقافة السورية/ دار اليقظة العربية، د.ت)